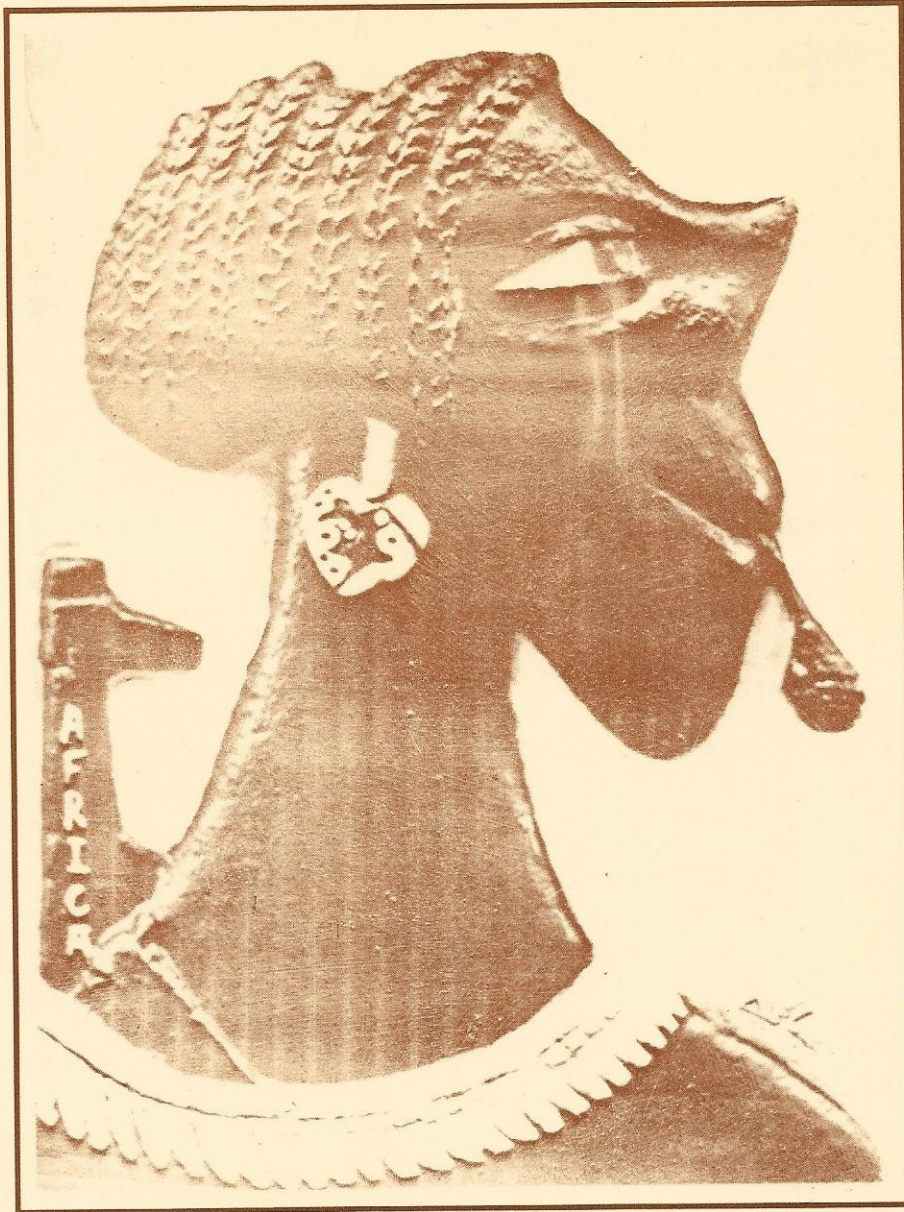
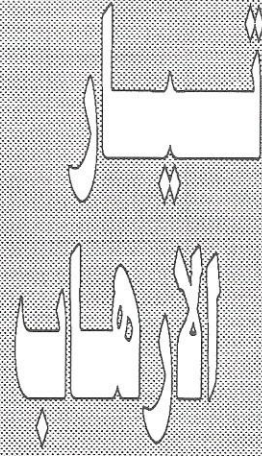


على الأقل



- لأول مرة: ع. الطريس يحاور ع. الخطابي
- الحداثة في الإبداع ■ الحجاب والإثارة
- مغرب سنة 1990 ■



مصطفى الجوهري

في الوقت الذي تتزايد فيه حدة مشاكل الجامعة ويتنامى الوعي وسط التيارات التقدمية الطلابية بضرورة تضافر الجهود لمواجهة هذا الوضع واعادة بناء ااداتها التنظيمية النقابية أو طم، في هذا الوقت تشهد عدة مراكز واحياء جامعية احداثا دموية خلفت عشرات الضحايا بين قتل وجريح وعشرات المعتقلين. لقد حاولت الحركة السياسية الاصولية فرض نفسها على الساحة من خلال التعامل مع الرأي الاخر بكل الوسائل الهمجية وباساليب الاختطاف والتعذيب والقتل، وما هذه الممارسة الا الدليل على عجز هذا التيار عن التعامل الديمقراطي الذي يستوجب الحوار والاقناع والاقتناع وتعبئة الرأي العام الطلابي الذي له وحده -

في نهاية المطاف - حق تحديد من يمثله ويخدم مصالحه الفعلية.

أضف الى ذلك ان محاولة هذا التيار تسخير الإسلام لخدمة اغراضه السياسية ليست إلا مدخلا لفرض هيمنة الرأي الواحد بكل الاشكال والاساليب. ذلك ان الاعتقاد في امتلاك الحقيقة المطلقة يصبح ذريعة لتصفية المخالفين وخنق انفاس المواطنين تحت شعارات ومقولات متعددة. هذا ما أكدته التجارب العالمية في الشرق والغرب، في الشمال والجنوب، وفي تاريخ المسلمين والمسيحيين واليهود. وهنا يجب ان نتساءل كيف يحق لتيار سياسي ان ينصب نفسه وصيا على الدين يصدر الاحكام باسمه وينفذها ويبيح لنفسه حق النهب والجلد والقتل؟ وماذا لو نصب كل فريق نفسه ممتلكا للحقيقة المطلقة وناطقا باسم الدين ينفذ الاحكام في الغير لمجرد اختلافهم معه وعدم مسايرتهم لاطروحاته السياسية ذات الغطاء الايديولوجي؟ بل ماذا لو قام كل فرد بمثل هذا العمل في حق الآخرين؟ إن حرية الرأي والحق في الاختلاف ستتقلب هنا الى حرية القتل والحق في تصفية الآخر.

إن المشاكل التي يعاني منها الطلبة وأزمة التعليم والأفق المسدود امام الشباب قضايا لن تجد حلها بالهجوم على التيارات والمناضلين التقدميين بدعوى محاربة "الملاحدة" و"الجهاد" من هذه التنظيمات، كما ان الانزلاق وراء المعارك الهامشية والمقتتلة ليس هو المدخل لتحقيق مطالب الطلبة وخدمة متطلبات حركتهم، بل لابد من توسيع التعبئة في أوساط اوسع الجماهير الطلابية وتقوية الإلتفاف حول القضايا الجوهرية المطروحة في واقعهم. فالديمقراطية تعتمد الحوار مع أوسع الجماهير وإقناعها باختيارات وآراء معينة، أي انها تنطلق من التعامل مع المواطن بإعتباره قادرا على التمييز وعلى الإختيار الحر. ■

كاريكاتير

في هذا العدد

رواية

3 نص للوزاني لم ينشر من قبل

سيرة

44 أطفال من جبل النار

كشوف

35 الصناعة والإغراب
45 ثورة الأكباش

حوارات

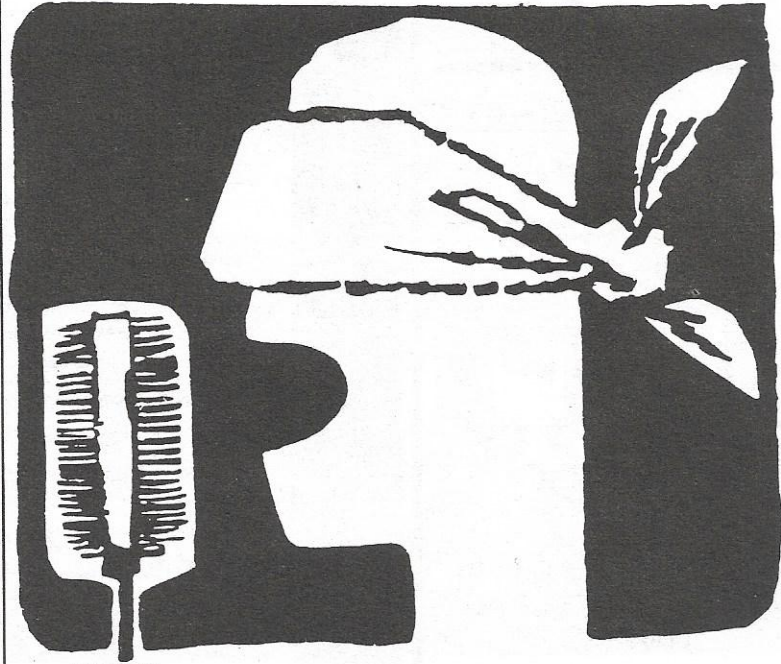
38 حوار مع يوسف فاضل
50 حوار مع هند التعارجي
41 صور الحروب

فيلم

47 مذكرات امرأة واقعية
53 ايته المرزة لماذا تكتبين؟

بحرث

10 الحداثة في الإبداع
21 ماذا يقرأ المثقفون المغاربة؟



INFORMATION LIBRE

على الأقل

مجلة للمتابعة والتحقيق

المدير المسؤول:

محمد معروف

رئيس التحرير:

عبد القادر الشاوي

■ عنوان المراسلة ■

ص.ب: 198 سلا - المدينة - سلا

■ ملف الصحافة ■

17 / 90

■ الإيداع القانوني ■

1990 / 88

■ الترخيم الدولي ■

ISSN 0851 / 8335

■ السحب ■

مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء

■ التوزيع ■

شوسبريس

■ عنوان الغلاف ■

جاريد

المقالات المنشورة تعبر عن رأي
اصحابها

كان محور عددنا الأخير عن (الحركة الطلابية.. إلى أين؟). وقد تجاوب مختلف القراء الذين أقبلوا على المجلة، رغم ظروف العطلة، مع هذا العدد بصورة إيجابية، وإذا نحننا جانباً ما عبر لنا عنه بعض القراء من مدح، فقد انصبت باقي الردود على ما لم نجد، في حقيقة الأمر، أية صيغة لإنجازه، أي ما لوحظ من نقص في إظهار مختلف مكونات الحركات الطلابية المغربية، من باب التعبير عن الاختلاف والتناقض والصراع. ونحب أن نطمئن قراءنا إلى أن النقص الملحوظ لم يكن من تقصير مفترض اعترضنا، وإنما من موقف ارتضى له أصحابه أن يكون من باب التكتّم أو التعجيز أو الهروب أو التماطل أيضاً، وهي أحوال مثيرة، ولكنها تربك، في جميع الأحوال، كل تصور ديمقراطي يسعى إلى الحوار المفتوح بدون خلفيات مضمرة ومحسوبة.

ومع ذلك ففي هذا الكلام، كما هو المفهوم، دعوة مجددة للتلاقي، بشفافية ومكاشفة، على أرضية العمل الديمقراطي الحر، عسانا نستكمل ما نراه أدعى لبناء تصور إيجابي عن تطورنا الثقافي المأمول في دائرة التعدد والاختلاف.

ومن هذا المدخل ذاته سنعمل على توجيه نظرنا في المستقبل القريب نحو مجالات أخرى (الأمازيغية، الحركة الإسلامية، الاعتقال السياسي..). تتطلب الإنجاز، ولكنها تتطلب قبل كل شيء حداً من تضافر الجهود المخلصة حتى يكون الاهتمام مفيداً والبحث مجدياً والأفق مفتوحاً لكل إبداع.

ولعل القارئ أصبح الآن على علم مؤكد بأننا (نكافح) من أجل تحقيق وتطوير تجربة خاصة، دون تحقيقها صعوبات كثيرة ومحبطة.

ولعل القارئ أيضاً قد لاحظ أن إصرارنا على الاستمرار هو في حقيقة الأمر على حساب الانتظام الذي افترضناه لهذه المطبوعة، مثلما هو على حساب الدورية التي كانت مقررة.

وقد يطول احتساب الصعوبات والمشاكل، ولكن الأمر المؤكد هو أننا نعمل، بإمكانيات جد متواضعة، في خضمها، لا يحملنا على ذلك إلا ما أخذنا نلمسه من تجاوب القراء معنا بصورة تدعو إلى الاعتزاز.

وفي تقديرنا الشخصي أن في هذا الاعتزاز شيئاً من الرأسمال الرمزي الذي يبرز (على الأقل)، وهو الذي يحفز المشرفين عليها على مواصلة التجربة. □

رئيس التحرير

إنه من الصعب معرفة السياق الذي انتظم فيه اللقاء بين عبد الخالق الطريس، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي، والتهامي الوزاني في «فيلا» أخي زعيم الريف يوم الأربعاء 19 يونيو 1957.

فالقسم الأول من المخطوط (المكتوب في كراستين) ضائع، وليس من المستبعد أن تكون به إيضاحات مدققة بشأن الظروف الرسمية أو غير الرسمية التي مهدت اللقاء. لكن يبدو، حسب الظن، أن الأمر إنما يتعلق بدعوة بروتوكولية وجهت من طرف محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى الطريس والوزاني لتناول طعام الغداء معه، بمناسبة مرور هذا الأخير بالقاهرة، وربما بمناسبة مجيء الطريس إليها كسفير للمغرب، بعد حل حزب الإصلاح الوطني (1956).

إن النص هو تقرير عن الحوار الذي دار، على نحو استثنائي، بين الخطابي والطريس، والذي كان موضوعه المركزي الأوضاع السياسية والاجتماعية في المغرب بعد الاستقلال، وكذا دعوة سفير المغرب لزعيم الريف للعودة إلى بلاده بعد إقامة في مصر تواصلت عشر سنوات، ونفي استغرق، إلى حدود ذلك اللقاء، إحدى وثلاثين سنة. ومن المثير للانتباه أن دور التهامي الوزاني اقتصر، في هذا الحوار، على الاصغاء للزعيمين، وأنه لم يعمد إلى الكتابة إلا وهو في (يفرن) بعد مرور بضعة أشهر على حضوره اجتماع القاهرة. ولا شك أن التهاني الوزاني، الذي باشر كتابة التاريخ من قبل، قد كتب التقرير وهو مدرك لقيمه التاريخية والسياسية، لذا عمد إلى شحذ ذاكرته المدربة على الاسترجاع فسجل الحوار في تفاصيله الدقيقة التي تعكس، في نهاية المطاف، تقابل أسلوبين ومزاجين: أسلوب السياسي الذي حنكه الجدل والأخذ والرد، وأسلوب المناضل المستميت الذي لم

نص للتهامي الوزاني لم ينشر من قبل

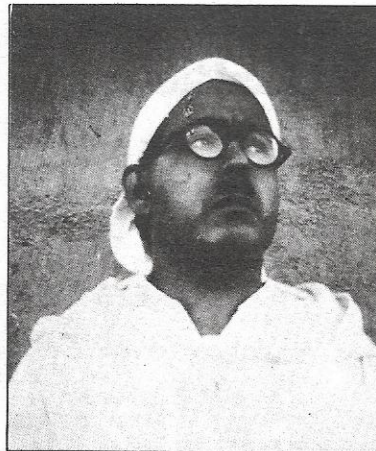
لقاء في القاهرة بين محمد بن عبد الكريم الخطابي
وعبد الخالق الطريس:

جدل حول الأوضاع في المغرب سنة 1957

تقديم: إبراهيم الخطيب

يشكل هذا النص إحدى الفقرات المهمة في مخطوط «الرحلة الخاطفة» الذي لم يكتمل، والذي يبدو أن التهامي الوزاني شرع في كتابته منذ شهر سبتمبر من سنة 1957، بعد عودته مباشرة من رحلة إلى الشرق استغرقت حوالي ثلاثة أشهر زار خلالها الديار المقدسة ومصر حيث حل ضيفا على صديقه عبد الخالق الطريس. وكانت زيارته لمصر مضاعفة: إذ حل بالقاهرة في يونيو من السنة المذكورة وهو في طريقه لأداء مناسك الحج، قبل أن يحل بها لدى عودته في الثلث الأخير من شهر غشت.

نص للتهامي الوزاني



الوزاني

من المشرق، ويأتي مؤتمر «باندونك» فيطعنه في قلبه، ثم يأتي جمال عبد الناصر فيهيل عليه التراب لينتقل إلى لعنة الله وغضبه. «نحن الآن في حضرة البطل الذي حول الاتجاه الفكري العالمي، وجعل أوروبا تخشع، وتتباشر بالسوأي. فإن الصبالم تعد تنصرهم، ولم يبق الشرقي يومن بأن وجود الغربي كاف وحده لينهزم جيش شرقي، وأدرك الشرقيون أن السلاح الأقوى الذي كان يفتك بهم ليس هو الحديد والنار. فإن للأسلحة الحديدية والنارية مفعولها، وأعظم من مفعولها الوهم الذي كان مسيطرًا على قلوب المشركين. فلما أخذت صحف العالم تذيع أن يضع عشرات من أهل الريف كانوا يهزمون آلافًا من الفرنسيين والإسبانيين ومن في ركبهم من السود (1) والحر، تهامسوا فيما بينهم وبين ذات سرهم، وحدثوا أنفسهم بأن يموتوا، ولن يموت شرقي إلا إذا أمات الله بيده عددا من الغربيين. وتذكر الناس من جديد الجهاد والشهادة. وكانت حركة ابن عبد الكريم انتصارا خالدا وفتحًا مبينًا. ولا نعني به الفتح الترابي الإقليمي، فإن أنصار الأمير ابن عبد الكريم أنفضوا من حوله فلم يسعه إلا أن يستسلم في «تركيس» إلى الجيش الفرنسي (2). وإنما نعني بالانتصار ما خلفه موقفه المجيد من روح

التي حملت راية الإسلام تبليغه للناس وتحميه من لدن ثلاثة عشر قرنًا، وظلت وفيه لرسالتها إلى أن هاجم الإحتلال الأجنبي القطر المغربي فقالت الريف: لا. ولم تكن تحمل من أسباب الدفاع إلا الإيمان، والأسلحة التي تحميها أيام السلام. وفعلت الريف أفعالها، وكتبت في تاريخ الإسلام والمغرب صفحات بيضاء كان مدادها الدماء الزكية التي خضب بها أهل الريف الأباة - بقيادة البطل ابن عبد الكريم - النجود والتهائم فكانت البذور الطيبة التي أنبتت من جديد، في قلوب المغاربة، شجرة الحرية وتسمت باسم الفدائية وباسم جيش التحرير. وما قام جيش التحرير إلا من الريف قرنًا. وكانت أخرى حلقات سلسلته السنوات الست التي أفهم فيها ابن عبد الكريم العالم أجمع أن الإسلام لا يزال قادرا على صد الاعتداء عنه حتى ولو كان أهله لا يحملون الأسلحة النارية. وها هي جماعة يسيرة من المسلمين تقف في وجه دولتين كبيرتين: فرنسا وإسبانيا. وإن يكن المسلمون ركدوا بعد حركة ابن عبد الكريم، فإنما كان ركودهم ركود الجوق قبل العاصفة. حتى إذا ما هضموا ما فرضته الحياة من جدة وتطور، قاموا كما قام قبلهم ابن عبد الكريم. وفي هذه المرة تعاونوا وتكتلوا هنا وهناك، فإذا بالاستعمار يندحر

يزحزحه الخذلان، مزاح الدبلوماسي الذي يقلب الأمور، وينظر إليها من أبعاد وزوايا شتى في نفس الوقت، ومزاج المحارب غير المستعد لإهدار طاقاته في تأويلات يعتبرها ملتوية ومبددة لكل وضوح.

على أن القيمة الأساسية للحوار، بالنسبة لنا اليوم، لا تتجلى في ظرفيته أو في الملابسات المعقدة لتلك الظرفية، وإنما في تناوله موضوعات وقيما اجتماعية وحضارية ميزت مخاض الاستقلال، ولا تزال تعتمل في واقعنا الراهن، ولعلها تهدد بتطورات يصعب التكهّن بمسارها في المستقبل.

نص التقرير

«دعينا للغداء صحبة الأستاذ الطريس - مع الأمير ابن عبد الكريم الخطابي على مائدة أخيه السيد محمد. واعتدنا من أبناء الريف كرمهم الحاتمي، وإذا كان أهل الريف كلهم كراما فإن بيت الخطابي جمع الله له بين كرم العرب وكرم الريف: فأسرة الكريم متصلة بالنسب بأمير المؤمنين الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وهي أسرة الجهاد بالإستيطان في بلاد الريف من لدن الفتح الإسلامي. ومن لدن عرفت بلاد الريف الإسلام عرفت مع ذلك الأسرة الخطابية،

والنصر.

بأسا حينما غلظه في الحساب معلم مدرسة ابتدائية، لأن الشخصية التي ابتكرت نظرية النسبية تحب أن تجد مساعدين لها حولها ليقدّموا بالأعمال الصغيرة...

بعد أن تناولنا طعام الغذاء مع الأمير، انتقلنا إلى قاعة لطيفة. وأشار سموه إلى أبنائه وأبناء أخيه، وبقيت القاعة لأربعتنا: الأمير، والأستاذ الطريس، وأخي الأمير، وكاتب هذه السطور. ودار حديث صريح لا تحفظ فيه ولا مواربة. ويمكن القول بأن الحديث، الذي دام نحو ساعتين، ينحصر في بحث الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بالمغرب، وفي مذاهب الأحزاب المغربية، وفي الجهود التي ينبغي أن تبذل في سبيل كرامة المغرب في الخارج، وفي شأن رجوع الأمير إلى المغرب. فأماما يتعلق بالحالة الاجتماعية المغربية، فإن الأمير يرى أن التطور الحالي يتجه اتجاه التفرنج الجامع، بما فيه من انحلال واستهتار. فهو غير راض عن سفور امرأة المدينة، وإذا كان ولا بد لها من السفور فليكن في الحدود التي حددتها لها الشريعة الإسلامية.

وتولى الأستاذ الطريس مناقشته في هذه الناحية، فكان مما قال أن ما يعده رجال الأمس مجاوزة للحدود، لا يرى فيه الشبان إلا حقا طبيعيا يجب أن تتمتع به المرأة. وإذا حاول الرجل بسط سيطرته الكاملة عليها وأباح لنفسه أن يفرض عليها إرادته دون أخذ رأيها، فإن هذا في نظر الشبان لا يزيد عن كونه وجها من وجوه الاستعباد. ولن يتأخر الشبان عن إعلان حرب شعواء ضد كل قيد من القيود، فإن مغرب اليوم في ثورة نفسية لا يمكن مقاومتها. وليست قضية سفور المرأة في الإسلام بالطامة الكبرى، ولعل اعتراض سبيلها باسم الدين سيجعلها، والشاب إلى جنبها يؤازرها، تتبرأ من الدين جملة وتفصيلا. والعقلاء لا يألون جهدا في سبيل إفهامها أن الإسلام لا

وتحول الأمير محمد بن عبد الكريم من شخص ذي لحم وعظم إلى فكرة مثالية أنعشت القلوب وأحيت الآمال في صدور نحو نصف الخليفة، فهو اليوم حيا كنبي من أنبياء بني إسرائيل في القلوب، وكرجل يمشي بين الناس يشهد بعينه 0 بن عبد الكريم كفكرة يملأ القلوب والضمائر. وقد تكون له أخطاؤه، ولن تتنافى البطولة مع الخطأ. والعالم بأسره مدين لعظمة "كريستوف كولومب" الذي خلق نصف العالم الغربي، ووهبه الحضارة والعزة، وما كانت أفكار «كولومب» إلا أفكارا صيبانية، وإنما كانت عظمتها في نفسه وهمة، لا في كتاباته وتقديره. وهذا هو الشأن في ابن عبد الكريم، فهو أبو الثورات في القرن العشرين، ومعلم البشر طريقة تكسير الأصنام. فهي عملية بسيطة أن تأخذ بيدك حجرا وتقذف به، وعظمتها في بساطتها. ومنها استخلص الناس طريقة حروب العصابات القليلة العدد لصراع عملاق الاستعمار. وابن عبد الكريم شيعة، وله خصوم، وهو هو البطل سواء عند أنصاره أو خصومه، ولقد زناه حين زناه لنرى البطولة. وليس من اللازم أن نقدم لكل بطل قربانا من مبادئنا، ولا أن ننسى به شخصياتنا، بل الأمر على العكس (4— مكرر). فإن الاتصال بالبطل يوحى بأن نسايره إلى أبعد غاية تمكننا، ونقتدي به، ونهتدي بهديه. وإذا أردنا أن نكون محترمين في عيون الأبطال، فإن طريقنا إلى ذلك أن نكون أبطالًا، معتزين بأفكارنا، وأعمالنا، ووجودنا. وهذا يوجب أن نختلف مع الأبطال، وأن لا نقبل منهم إلا ما هو مقبول، ومن طبع العظماء أن لا يستكبروا عن سماع الحق، وأن يرجعوا عن خطئهم سريعا، وهذه إحدى مزاياهم. وما يمد إلى الشغب والعناد إلا ضعاف الإرادات، الذين يخافون أن ينهار بناء شخصيتهم بمجرد أن يرموا بالخطأ والقصور. ولم ير «إينشتين»



الطريس

البشرى والتفائل في صدور المغاربة والمسلمين، وما خلفه من أثر الخوف والهلع في قلوب الاستعمار. فكانت الثقة التي عادت إلى نفوس المسلمين، والجزع الذي لا يس قلوب المستعمرين هما رأس المال الجديد الذي رصده العالم الشرقي ليقوم منه تجارته الراححة، المنتجة للحرية والإزدهار. وإذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فإن ابن عبد الكريم ممن يطلق عليه هذا التشبيه. فإنما حارب الاستعمار بالعلم، والعلم النافع، الذي هو الشعور واليقظة ومعرفة أحوال النفس البشرية. واكتسب هذا العلم عن طريق المدرسة وعن طريق الاختلاط بالأجانب (3)، حتى إذا درسهم دراسة وافية، حاربهم وهو عالم، ونصر الإسلام وهو بعظمته وتعاليمه عالم. فإنما ابن عبد الكريم مثل أنبياء بني إسرائيل. وقد أبلغ الله دعوته جميع الأذان. وبينما كان في جزيرة «لارينيون» (4) يقاسي متاعب الرطوبة والغربة، كانت تعاليمه تخرق الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، وكانت شخصيته تدرس في المعاهد وخلوات الأبحاث العلمية والنفسية وكان إزب العقبة (الاستعمار) ينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور ويصيح: ألا أن نجما جديدا قد ظهر لينظر العالم على ضوئه تباشير الفرج

نص للتهامي الوزاني

يعارضها في حريتها، وهي بذلك راضية عن الدين، أو على الأقل فإنها لا تعتبره عدوا لها. أما إذا الزمناها بالحجاب الغليظ فإننا سنسعى إلى هدم العقيدة في نفسها. ولعل ترك بعض المنافذ مفتحة لصرف فيضان الثورة يذهب بشروطها، فإذا لم تترك بعض المنافذ فلسنا ندري ما هو الحد الذي تقفه المرأة والشاب إذا ما اخترقا الحدود علنا، وجاها بانهما بريئان من دين يخنقهما ولا يسمح لهما من حريتهما مند القدر الذي يجعلهما رقيقين في الشارع كما هما زوجان في المنزل. وهذا ما جعلنا نقبل حالة السفور بالنسبة لمرأة المدينة المغربية. أما امرأة باديتها فسافرة ولا إشكال، وليست المدنية (5) إلا سدس البدويات.

وسكت الأمير فلم يوافق ولم يخالف، ونقل الحديث عن المرأة إلى الحديث عن المحافظة على الآداب الإسلامية عامة، فكان جواب الأستاذ الطريس أن الفضيلة هي الدعامة القوية لبناء صرح الأمة، ولكن حدود الفضيلة يجب أن توضع في النطاق الذي يتناول الشرور الحقيقية فيحاربها، والفضائل الصحيحة فيؤيدها، دون أن تترك الجواهر ويقع الانصراف إلى أمور شكلية محضة. والذين درسوا الإسلام على ضوء الحقائق، وتفهموا آيات وأحكام القرآن الكريم مجمعون على أن القرآن منبع فياض للفضيلة الحقيقية، ولهذا فإن من واجب

الدولة المغربية أن تعد أمة تنشر حقائق الإسلام التي يكون لها الأثر في ترقية المستوى الخلقي والاجتماعي لمسلمي المغرب. ويجب أن نعلم أن الإسلام دين مئات الملايين من البشر، وهي تكون اتجاهات مختلفة، ونوعا من الحياة لا يتشابه، ومنها عناصر مفكرة، ثم هي تواجه تيارات فكرية عديدة، تحكم المنطق وتروج آراءها بما يدهش العقول ويحير الألباب. فإذا كنا نرغب في انتصار الأفكار الإسلامية، فعلى أن لا نحسب البشرية منحصرة في رقعة ضيقة من الأرض، وأن الناس هم العدد القليل من الأصدقاء الذين نعرفهم بأعيانهم وأسمائهم وألقابهم. بل نحسبها كما هي، وننظر إلى البشرية في مجموعها، وما جاء الإسلام إلا ليكون دنيا عاما للبشرية جمعاء. وما نعتقد أن الإسلام القرآني يعجز عن تأدية هذه المهمة. وبعض ذوي النوايا الحسنة من رجالنا تنقصهم الخبرة بشؤون البشرية، ويعوزهم الإطلاع على مختلف اتجاهاتها الفكرية. فهؤلاء لا ينظرون إلى الإسلام إلا من خلال عقليتهم المحدودة، ولا يشعر الواحد منهم أنه يسيئ إلى الإسلام حينما يجعله دنيا لا هم له إلا الشكليات وتأدية بعض الطقوس. أما الذين يدركون حقيقة امتداد الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ويريدون أن يطبقوا كلهم قواعد الإسلام، فانهم يعلمون أن المأمور به لن يكون أمرا معقولا إلا إذا كان في حدود الإمكان ميسور التطبيق. ولما أنهى الأستاذ الطريس عرض وجهة نظره، أجاب الأمير بأن الإسلام الحقيقي لا يزيد ولا ينقص عن هذا شيئا، وأن تعاليمه صالحة لكل زمان ومكان.

ومن الناحية السياسية عرض الأمير رأيه الملخص فيما يلي: إن المغرب لا يمكن أن يعتبر مستقلا إلا إذا انسحب عنه الجيش الفرنسي، ولم يبق بالإدارة المغربية أجنبي، وأن تعرب كلها. وما دام الجيش الفرنسي

مقيما بالبلاد، والمديرون الفرنسيون متولين للوظائف الحيوية أن يبقى في حالة حرب مع الفرنسيين. وليس هذا الاستقلال الصوري الذي يتوهم المغاربة معه أنهم مستقلون، إلا مخدرا ناولته فرنسا المغرب لتتفرغ لمحاربة الشعب الجزائري المكافح. ومن الواجبات الأوليات أن يشعر المغاربة في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى بأن قضيتهم واحدة، وأن وطنهم وطن واحد، لا يمكن أن يتجزأ، فيكون جزء منه مستقلا، وجزء غير مستقل. فكل من تونس، والجزائر والمغرب وطن واحد، يجب أن ينتهج سياسة واحدة واضحة. وهذا يوجب أن يكون المغرب، وأن تكون تونس، في حالة حرب مع فرنسا، مادامت تعتدي على الجزائر وتزعم أن الوطن الجزائري جزء لا يتجزأ من فرنسا فهذا تحدي صريح لشعوب الشمال الإفريقي، واعتداء ساخر على وحدة هذه الجهة من الدنيا. زيادة على أن فرنسا لا تزال تسيطر بقوتها على الصحراء المتممة للمغرب، والتي لا يمكن للمغرب أن يحيا بدونها (6)، وما تسميه «ماوريطانيا» ليس إلا جزءا من البلاد المغربية. قد بلغ من تحدي فرنسا لشعوب الشمال الإفريقي وللمغرب خاصة، أنها دعت دولا مسيحية للقيام بمشاريع كبرى في الصحراء، أما المغرب الذي يزعم أنه دولة مستقلة صديقة لفرنسا، فإن هذه لم ترض حتى أن تدعوه للمساهمة في المشروع ولا أن تأخذ رأي المغاربة في هذه الإجراءات الشاذة. هذا مع العلم بأن المتعارف عليه بين الدول أنهم يحترمون الأوضاع الجغرافية، فحتى على فرض أن التاريخ قال مالم يقله قط من أن الصحراء لا ترتبط بالمغرب في شيء، فإن الوضع الجغرافي للمغرب يوجب وحده أن لا يحدث شيء في صحرائه إلا بعد أخذ رأيه. وليس هذا بعجيب من فرنسا، فإنها اعتادت أن تحتقر المغرب وتهينه. ويكفي برهانا على ذلك أنها أذنت للولايات المتحدة الأمريكية في بناء مطاراتها بالمغرب، دون

أن تشعر بذلك السلطات المغربية، وما عرف
المغاربة نبأ ذلك إلا عن طريق الصحف التي
تنشر عن المغرب ما لا يعلمه. ودخلت
المغرب قوات الأمريكيين الجوية في عدد
يقدر بعشرين ألف طائر (7)، دون أن
يسبق للمغاربة علم بذلك، وما عرفوه إلا
بالرؤية البصرية. وجاء هذا الاستقلال
المزعوم والحال هي هي لم تتبدل ولم
تتغير، إن على المغاربة أن يجابهوا الحقيقة
المرّة، ويعلموا أن بينهم وبين الاستقلال كما
يفهمه الناس، بحاراً من الدماء والدموع
وآلاماً لا نهاية لها، ومن صالح المغرب أن
يكافح في سبيل استقلاله الحقيقي مادام
الشعب الجزائري يُقلق راحة فرنسا
ويرغمها على أن تعيش في فقر وقلق،
وليس للجزائر من مساعد ولا من معين إلا
الله سبحانه، وهم أحوج ما يكون إلى
إخوانهم في تونس والمغرب ليؤازروهم،
ولن تقل استفادة القطر من استفادة
الجزائر. لكن الثورة المغربية جاشت في
صدور الأمة، حتى إذا أتت أوليات ثمراتها،
تزعمها متخرجوا المدارس الفرنسية، فأول
ما عملوه أنهم حموا فرنسا، وأخذوا
يشيدون بمجدها وعظمتها، ويصرحون في
حق الإسلام والعروبة بما يستفزع الإنسان
أن يفوه به. وصرحت برأيي هذا -يقول
الأمير- لكل من تحدثت إليه من الصحفيين،
وأنا اليوم على رأيي بالأمس: أعتقد أن
المغاربة وقفوا في منتصف الطريق، فما
قطعوا من الجهاد إلا مراحل الأولى. ولا
يزال الوقت متسعاً أمامهم ليحاربوا
الاستعمار الفرنسي. وأشد ما أخشاه أن
تتغلب فرنسا -لا قدر الله- على الثورة في
الجزائر. فإذا فرغت منها، تفرغت لانتزاع
فرنسا على الثوار الجزائريين، المكافحين في
سبيل حريتهم واستقلالهم، فإن من الإسناد
الاستعماري ما لم ير معه بأساً في أن تنتقل
جيوش ومعدات الحلف الأطلسي لقمع
ثورة الجزائر، وإنما العجب هو هذا
الانتصار الباهر الذي أحرز عليه
الجزائريون، وأرغموا معه فرنسا على أن

تطأ رأسها، وهي على وشك أن تجثو
على ركبتيها مكرهة غير راضية. وإذا
ساعدت الأقدار، وتمت الهزيمة على فرنسا،
وطهرت (الجزائر) بلادها من أدران
الاستعمار، فإن الصدارة في الجهاد من
أجل تحرير الشمال الإفريقي ستكون
للجزائريين، أما المغربية والتونسيون
فسيصبحون مسبقين من إخوانهم. وإذا
ذاك ستعلم الأحزاب المغربية أنها كانت
خاطئة في الإنحناء أمام الاستعمار بالمغرب،
مع أنها تعلم أن الشعب المغربي لا يزال
يحمل من روح الثورة ما يكفي لمجابهة
رواسب وبقايا الاستعمار في بلاده. وعلى
ذكر الأحزاب، فإن المسيرين لها المسؤولين
عن سياسة المغرب، تنقصهم الشجاعة
الكافية اللازمة لقيادة الشعب المغربي الثائر.
وما أرى هذه الأحزاب إلا أصيبت بالتعفن،
وأصبح المغرب في حاجة إلى قادة من نوع
آخر: قادة من الشعب، يحملون نفس الروح
الذي يحمله الشعب. ومن شر هذه الأحزاب
ما خلقتها من التفرقة في صفوف المواطنين،
حتى تدابر الأخ وأخوه، والصديق
وصديقه. وطغت الحزبية على الوطنية،
فأصبحت الحزبية تشغل المكانة الأولى،
ولم يبق للوطنية إلا المكانة الثانية. وما
أحوجنا إلى حركة تتوحد فيها جهود
المواطنين، فينسون الحزبيات، ويتذكرون
أنهم مواطنون يسوء الواحد منهم ما يسوء
الآخر، ويسره ما يسره (8).

وقال الطريس: إن الفرق بعيد بين
الاستعمار في شرق البلاد العربية
ومغربها. فإن المشرق يريد استقلالاً كاملاً
تاماً من جميع الوجوه. وحتى الاستعمار
الذي عاناه المشرق لم يكن إلا بلاء خفيفاً،
فإن الاستعمار البريطاني لا يعد شيئاً
بالنسبة للاستعمار الفرنسي. فإنك لترا
حريصة على أن تذهب بالأموال، أما
الاستعمار الفرنسي فإنه ذهب بالأموال،
وتتبع طريقة الإبادة والاستخلاف. فلو طال
بالشمال الإفريقي أكثر مما طال لا نقرض

المغاربة وخلفهم جيل من متشردي
الأوروبيين المتفرنسين. ونقول هذا لأن
الفرنسيين الحقيقيين قليلوا العدد، وفرنسا
تكفيهم وزيادة، لكن فرنسيي المستعمرات
ليسوا بفرنسيين في أصلهم، وهم أمم من
الإسبانيين الحمر (9)، والإيطاليين
المتبوزين، وجماعات لم تحتملها أوروبا
لسوء سلوكها، فتجنست الجنسية
الفرنسية وملاست المستعمرات، ورحبت بهم
فرنسا لأنهم ليسوا في بلادها، ومن عملهم
في بلاد ما وراء البحار أن يسهلوا القضاء
المتدرج على شعوب الشمال الإفريقي، فإن
الاستعمار الفرنسي كان من نوع الإبادة.
فلما أعلن استقلال المغرب، تبعه أنسحاب
المراقبين من القبائل، وكاد يندثر الحكم
المباشر، وهذا في نظر المغاربة تحرير أكثر
منه استقلال. ولن نحسن الظن أكثر مما
يلزم، فإن ببلادنا -مع الأسف الشديد-
رجالا منافقين لا يمجون عن أن يكونوا ضد
المغرب إذا ما وجدوا المساعدة الأجنبية. وما
أفاد المغرب في استقلاله -في واقع الأمر-
إلا الانظمة الدولية (10)، التي حالت بين
فرنسا وسياسة الإبادة فقوتنا أن نعتد
كثيراً بالرأي العام الدولي، دون أن نعتد
عليه كثيراً. وقد استطعنا أن نكتسب صداقة
فرنسا، وأصبحت مصالحها بالمغرب
محفوظة، وهذه قوة لنا. أما إذا حاربناها،
فرغم أننا نكون محقين، فالرأي العام
الدولي سيكون مع فرنسا لأنها معتدى
عليها. والقول بأن الشمال الإفريقي وحدة
لا تتجزأ، هو قولنا نحن معشر المغاربة، أما
الرأي العام الدولي فإنه يحسب تونس دولة
مكتملة السيادة، وكذلك المغرب، لكنه
لا يزال متأثراً بالفكرة الاستعمارية القائلة
بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا.
والرأي العام الدولي لا يومن بما تقوله
فرنسا، كما أنه غير مومن بما نقوله نحن.
وحقيقة الأمر عنده هي أن للفرنسيين
مصالح عريضة بالجزائر، وبها نحو مليون
من المتجنسين بالجنسية الفرنسية، وهذه
موجبات -في نظر الجهة العربية-

نص للتهامي الوزاني

للإشفاق من موقف فرنسا. في حين أن الجزائر أمة تناضل عن حريتها، وجميع الأمم تنتظر أن تنتصر انتصارا عسكريا لكي تقيم الحجة على حيويتها، فتسارع للاعتراف بوجودها وربما تكون أمريكا أول من يعترف بالدولة الجزائرية، لكن بعد أن يتم لها الانتصار العسكري، وبعد أن تطرد النفوذ الفرنسي من بلادها عن طريق القوة. ولن يتخلى الرأي العام الدولي عن التدخل في مصير المليون فرنسي، ماعدا إذا اتخذت الجزائر موقفا كموقف المغرب، لا يكون معاديا لفكرة الصداقة مع فرنسا. فمن مصلحة المغرب أن يحتفظ بصداقة فرنسا، دون أن يفرط في العمل على وحدة الشمال الإفريقي، وله الحق في أن يساعد الجزائر في سائر الميادين إلا ميدان إعلان حرب رسمية بينه وبين فرنسا لأن ذلك يحمل الرأي العام الدولي على اعتبار المغرب بادئا بالعداء. وليس في وسع المغرب أن يفعل أكثر مما فعل، سيما وهو لا يزال مجردا من السلاح أو يكاد، وليس له من الاستقلال إلا خطوطه الرئيسية الأولى.

والصواب مع الأمير إلى حد بعيد فيما يرجع للاضطراب الحاصل في مؤسساتنا السياسية. وإذا راجعنا هذه المؤسسات لم نجد ما يمكن إصلاحه منها إلا حزب الاستقلال، أما الهيئات الأخرى فتأثيرها ضعيف سواء في الداخل أو الخارج (11).

أما حزب الاستقلال فإن من رجاله وأنصاره العنصر المعتمد الذي يمكن أن يضطلع بسائر المسؤوليات. والعيب الذي في الحزب أنه محتاج إلى التطهير من العناصر المتقنعة بقناع الوطنية. فإذا استطاع الحزب أن يستغني عن هذه العناصر التي لا يجهلها، فإنه الأداة الصالحة للسير بالمغرب في الطريق الذي عليه أن يسلكه في هذه الأوقات الصعبة حتى يتغلب في الإجهاد على رواسب الاستعمار، ويتمكن من بناء مغرب فني متناسب مع الثورة النفسية التي يوجد عليها شبان المغرب وعناصره الصالحة. فإصلاح الوضعية بالمغرب لا يمكن أن يقوم بها إلا حزب الاستقلال المنقح، بقيادة صاحب الجلالة مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه. وسموكم أيها الأمير مع أقوى العناصر في تثبيت قدم الاستقرار، فإن وجودكم بالمغرب أصبح اليوم ضروريا ومفيدا، لكي يجد المواطنون الرجل المحترم ذا السمعة الطيبة، الذي يترفع عن المنازعات الحزبية، فيكون مواطنا يستوي عنده جميع المواطنين. وإذا تحقق هذا الرجاء، ووجد رجال كبار على مسرح الحياة المغربية، وهم محتفظون كل الاحتفاظ بفكرة الحياد، لا يتأثرون بالحزبيات والعنصرية في أي شكل كانت، فإن الصراع الشديد بين الأحزاب سوف يخق - إن شاء الله - وبودنا أن لو وجدنا رجالا من هذا الطراز الذي لا يفكر مطلقا في أن يخلق حوله جوا من الحزبيين، لكي يكونوا مساعدين لصاحب الجلالة في المهمة التي أصبحت كلها على عاتقه.

قال الأمير: كم بودي أن أعود لبلادي ومسقط رأسي. وكنت أليت على نفسي أن لا أعود إلى المغرب إلا بعد أن يتم استقلاله. وعلى كل حال فإنه إن لم يستقل من جميع الوجوه، فإنه ابتعد عن الأخطار الكبيرة التي أشرت إليها. وثقتي بالله عظيمة في أن يرشد المغرب إلى العمل على استكمال

سيادته. وهذه البوادر تحملني على الاعتقاد بأنني إذا رجعت إلى وطني فإنني أكون بارا في قسمي، موفيا بنذري فقد ارتفع الحكم المباشر، وأصبح الأمر بيد المغاربة، فإن أحسنوا فلهم، وإن أسأوا فاعليهم. وأرجو أن يكون رجوعي إلى المغرب قريبا بواسطتكم، باسعادة السفير. وقد علمت من الأنباء التي تنشرها الصحف، والأخبار التي تذيعها المذائيع أنكم عما قريب سترجعون إلى المغرب بحول الله، لحضور مؤتمر السفراء المغاربة الذي سينعقد بالرباط في الشهر المقبل، المقصود منه تنسيق أعمال السفراء وتداولهم فيما يرون مسيس الحاجة إليه. وعسى أن تعملوا مع حضرة صاحب الجلالة، حتى أرجع إلى وطني ولي من الضمانات ما يخفف عني أتعابي النفسية، سواء فيما يرجع لمطاردة بقايا الاستعمار، التي تحد من حرية المغرب في العمل، أم فيما يرجع لحريتي الفردية، وأمن أصحابي على حقوقهم.

قال الطريس: أما أنا فقد أصبحت متأكدا من أن وجودكم خارج المغرب، لم يبق له معنى. ويمكن القول بأن وجودكم بالمغرب مرتبط كل الارتباط بالجهاد المير الذي عانيتم بأسه من لدن أكثر من ثلث قرن. فقد وصل - والحمد لله - اليوم الذي ترون فيه نتيجة جهادكم وجهاد من خلفكم في الميدان. وما يقال من أن سموكم لا تستطيعون احتمال التصرفات التي توجبها الصعوبات الأولى، فإن سعة نظركم وتقديركم لمشاكل الطور الجديد الذي دخل فيه المغرب، سيكونان كفيين بالعمل على الانسجام بين وجودكم وما توحى به ظروف الوطن من الحيطة والحذر، والتيقظ للمناورات والدسائس. فمن واجب أي مواطن أن يضحي ببعض حرياته، وبعض مصالحه، وحتى بعض آرائه إذا كانت سلامة الوطن تقتضي ذلك. وأنا أفهم من وجودكم بالمغرب، أنكم ستكونون على اتصال دائم بصاحب الجلالة، وحكومته

التي يرأسها بنفسه. وهذه الاتصالات ستجعلكم محيطين علما بالأسرار التي توحى بتصرفات يحسبها البعيدون عن ميدان العمل أنها تصرفات خارجة عن الحدود. وإذا اطلعتم على الوضعية الحقيقية بالمغرب، ولمستم حاجياته عن قرب، فإن المشكل منحل من نفسه، فلن يكون صديقكم إلا من يعمل لخير المغرب. وكل مشكوك في تصرفه، أو متلاعب بالنار، أو راغب في أن يتوصل إلى قصدنيء بواسطة التقرب إليكم، فإنه سيكون ألد أعدائكم. وسوف يكون صاحب الجلالة ورجال حكومته من خيرة المساعدين لكم على الإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبار حقوق ذوي الأسبقية في الجهاد ما لم تحيط عملهم خدمة الاستعمار والتعاون معه.

إنكم -أيها الأمير- في ضيافة الأمة المصرية الكريمة، وحكومتها الموفقة، فأنتم عند أبناء عمكم، وبين الذين يقدرتون جهادكم وتضحياتكم، وقد سعينا جهدا في إيوائكم إلى بلاد الكنانة، وكنا موفقين (12). وأتي وجودكم في مصر بثمره الطيب، فقد تعلم أنبأؤكم -حفظهم الله- وشغلوا مكانا بارزا في الحياة العربية، وصاروا رجالا معتمدين، ومن فضل الله علينا جميعا، أن نرى سلاسل المجاهدين ببلاد الريف يعملون في حقل العروبة الواسع. هذا كله واقع، ومع ذلك فإن كرامة المغرب الحر المستقل تآبى عليه أن يترك بطلا من أبطاله يعيش على حساب بلد غير المغرب، فإن وطنكم يوجب على نفسه أن ينعمكم بخيراته، وأن يعترف لسموكم بالسعي المشكور الذي قمتم به في سبيل حريته واستقلاله. ولن نرضى نحن المغاربة المناضلين أن تبقى في نفس الوضعية التي كنتم عليها قبل الاحتلال، من حرمانكم من دياركم وأموالكم ومراتب طفولتكم. فإن بني ورياغل (13) مشتاقا إليكم مثل ما أنتم مشتاقون إليها.

فاغور رقت عينا الأمير بالدموع، وقال بصوت خافت: أرجو أن يكون لسعادتك الفضل في رجوعي وأخي إلى الوطن الحبيب (14). وما رجوعنا بالشيء الممتنع. ونرجو أن نعمل لصالح المغرب أكثر مما نقول، حتى يعلم الذين لا يعلمون أن محمد بن عبد الكريم لا يزال في وسعه أن يعمل لخير الوطن، ولتوحيد الكلمة والقضاء على النزعات المحلية، وجعل الوطنية المثلى الغرض الأقصى.

ثم قال الأستاذ الطريس: لقد لذن الحديث مع سموكم، وأرجو أن تشرفوا منزلي بالقاهرة، حتى تحصل بكم البركة، وتدعون فيه لأبنائي، ولا شك أن دعاءكم مستجاب، فابتسم الأمير، وقال: أحضر -إن شاء الله- على أنني في حمية لا أكل إلا تحت إرشاد الطبيب. وكل ما أستطيع أن أتناوله قطعة من فرخة فتية، مطبوخة بالماء وقليل من الملح. فعلى هذه الوتيرة أعيش من لدن وقت ليس بالقصير. وتحدد الموعد أن يكون يوم الأحد (24 قعدة 1376هـ - 23 ينيه 1957م). ونظر الأستاذ إلى الساعة وقال: أيها الأمير، إن الحديث معكم لذيد، وأمامي موعد قد اقترب، فأستأذنكم في الانصراف. وابتسم سموه، وخرجنا، فوجدنا أبناء الأمير وأخيه، وركبنا السيارة، ورجعنا إلى الزمالك، فقصي السفير بعض حاجاته، وانتقل إلى قصر عابدين لحضور سمسة ما لا تحتاجه الدولة من تركة الملك السابق فاروق الأول، الذي فارقه الملك بعد قيام الثورة.

هوامش الموضوع

(1) السود: إشارة إلى الجنود السينغاليين الذين شاركوا، ضمن الجيش الفرنسي، في قمع ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

(2) حدث ذلك يوم 27 ماي 1926.

(3) حفظ محمد بن عبد الكريم الخطابي القرآن وهو بأجدير ثم التحق بفاس لطلب العلم الشرعي في القرويين. ولدى تخرجه من القرويين عين معلما بمدرسة إسبانية صغيرة في مليلية، قبل أن يغدو محررا للقسم العربي بجريدة (TELEGRAMA DEL RIF) التي يديرها كانديدو لوبيرا، ثم سكرتيرا بمكتب الشئون الأهلية. وقد لوحظ على محمد بن عبد الكريم في ذلك الوقت أنه كان «متلهفا لمعرفة كل شيء عن الحياة الإسبانية، وعن أوروبا والعالم» (جيرمان عياش: «أصول حرب الريف» (بالفرنسية). منشورات الصوريون، والشركة المغربية للنشر المتحددين، 1981).

(4) جزيرة في غرب المحيط الهندي، من الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار، وقد قضى بها زعيم الريف إحدى وعشرين سنة من النفي.

(4 مكرر) إشارة إلى فروق التحليل المعروفة بين الحركة الوطنية «السياسية» وحركة التحرير «المسلحة».

(5) يقصد: المدنية، نسبة إلى المدينة.

(6) أغفل محمد بن عبد الكريم الخطابي كل إشارة إلى مواصلة احتلال إسبانيا للصحراء المغربية (الساقية الحمراء وادي الذهب)، فهل يتعلق الأمر بسهو من جانب كاتب التقرير؟ أو بنية مقصودة من طرف المتحدث هدفها إبراز العدو الرئيسي (فرنسا) وتجاهل العدو الثانوي (إسبانيا)؟ (راجع: دافيدس. ولمان: ABDELKRIM Y LA GUERRA DEL RIF) (الترجم عن الإنجليزية)، برشلونة 1971، ص 259).

(7) يقصد: جندي في القوات الجوية.

(8) مع أن الإشارة تتعلق بصراعات الأحزاب المغربية فيما بينها، قبل الاستقلال، وبعده، إلا أن التأثير بالموقف الناصري من



نص للتهامي الوزاني

مسألة الحزبية جلي هنا.

(9) يعني الإسبان الذين قاتلوا، ضد فرانكو، ضمن الأولوية الأممية.

(10) إشارة إلى التحول الذي طرأ على التوجه الوطني، إبان فترة الحماية، والذي تميز، بعد الحرب العالمية الثانية، باللجوء إلى المحافل الدولية لطرح قضية استقلال المغرب.

(11) بعد حل حزب الإصلاح الوطني (1956) أعلن الطريس اندماج هيأته السياسية في حزب الاستقلال، وأصبح عضوا في اللجنة التنفيذية لهذا الحزب.

(12) إشارة إلى عملية تحرير محمد بن عبد الكريم الخطابي وإنزاله، خفية، من الباخرة «كاطومبا» ببور سعيد يوم 31 ماي 1947.

(13) إحدى القبائل الثمانية عشر التي تؤلف، في مجموعها، سكان الريف الأصليين، تقع أراضيها غرب وادي النكور، وجنوب خليج الحسيمة. ويشكل أجدير مركزها الرئيسي.

(14) من المعروف أن أمنية أمير الريف لم تتحقق: فقد توفي بالقاهرة ليلة الخامس من فبراير سنة 1963. أما أخوه فعاد إلى المغرب في سبتمبر من سنة 1967، قبل ثلاثة أشهر، تقريبا، من وفاته بمستشفى ابن سينا بالرباط نتيجة أزمة قلبية حادة. □

الحدث في الإبداع

ملاح الإشكالية

في الأدب العربي

محمد برة

ع

تتمثل صعوبة الحديث عن هذا الموضوع في الغلابة الزئبقية التي تلفف مفهومي حدث وابداع. كل واحد منهما يقترن بتعددية في الفهم والتحديد، ويستحضر شبكة من الدلالات لا تفسر وتحسم بقدر متلقين لوسط متاهة فكرية وإبستمولوجية. فالحدث إلى جانب التعريفات التي أعطيت لها بوصفها مؤشرا على الانتقال من صيغة تفكير وفعل، إلى صيغة أخرى مرتبطة بتحويلات جذرية في بنيات المجتمع وعلاقته، وفي مستوى العلم والكشوفات، وفي تحقيق شروط الفردية وإعادة تحديد علائق الفرد بالمجتمع... فهمت أيضا على أنها تشخيص لاختلاف مظاهر التحديث المادي وما يفرزه من تبدلات سريعة وأنية داخل المدينة، والمناظر، والملابس، والسلوكات، والموضات... كذلك الأمر بالنسبة للإبداع الذي يحف بمفهوم الإبداع: فالتعريفات تمتد من إضفاء قدرة خارقة على المبدع إلى افتراض عبقرية غير قابلة للتفسير، إلى قرنه بالخروج عن المألوف وتحطيم الموروث... لذلك فإن المنطلق الذي أريد أن أتكلم منه، يتوخى تقديم تصور لكل من الحدث والإبداع بهدف صياغة إشكالية تحقق الحدث في الإبداع العربي وخاصة في الأدب.

(1) حدث:

أوثر أن أعتبر الحدث أحداثا وليست واحدة، لأن قراءة بعض ما كتب حول هذا الموضوع والتأمل في نصوص أدبية وأعمال تشكيلية، يؤكدان تاريخية المصطلح وخضوعه للتنسيب، خلافا للاتجاه الذي أراد أن يعطي للحدث دلالة مطلقة وتوصيفا طوبويا يجعلها توجد أو تنعدم بقدر اقترابها أو ابتعادها عن ذلك المثال. لكن تاريخية هذا المصطلح تؤكد كذلك أن الحدث ارتبطت بتحول عميق مس



طرائق التفكير وبنىات المجتمعات البورجوازية بأوروبا خلال القرن التاسع عشر، طارحاً بذلك أبعاداً كونية أمام تطور الإنسان وتطور القيم وتوجيه الصراعات.. من ثم أصبحت الحداثة أفقاً للتفكير وأفقاً للتغيير بعد أن تراكمت شروط وعوامل تُنذر بإمكانات لتحوّل جذري ينقل الحضارة من مرحلة إلى أخرى، ويغير طرائق العيش، وأساليب الإبداع، وأنماط التخيل. هذه الأبعاد الكونية هي التي ارتبطت بمهمة الحداثة في ممارسة النقد وانتقاده «الانحرافات» الناجمة عن تشابك طموحات «التقدم» بالتشويشات المنحدرة من تنظيمات المجتمع الرأسمالي

وتشغيل الآلات والتكنولوجيا.. وهذا المفهوم هو الذي يشير إليه هنري لوفيفر قائلاً (1):

«الحداثة تفكير باديء وتخطيط أولي، تتفاوت جذريته، للنقد والنقد الذاتي، إنها محاولة للمعرفة. ونحن ندرك الحداثة داخل مجموعة من النصوص والوثائق تحمل بصمة عصرها ومع ذلك تتعدى الإثارة الصادرة عن الموضة والتحريض الصادر عن الجديد. إن الحداثة تختلف عن العصرية (MODERNISME) مثلما يختلف مفهوم أخذ بالتشكل داخل المجتمع، عن الظواهر الاجتماعية، ومثلما يختلف تفكير ما، عن الواقع».

من هذا المنظور الذي يعتبر الحداثة أفقاً متجدداً للتفكير ضمن تبدلات عميقة، متواصلة، يمكن أن نقول مع ميشونيك (2): «بأن الحداثة هي التاريخ بوصفه خطاباً من خلاله نقرأ أنواعاً من الوعي ونماذج من النقد لا تقتصر على التاريخ لما حدث وعلى الشروط الموجهة للأحداث، بل

تُعامل التاريخ بوصفه يشتمل على عدة إمكانات ضمن الشروط المادية تُحدد مجراه لكن داخل هذه الأبعاد الكونية المشتركة التي تتعمم عبر التحديث والتنظيمات العصرية والمخترعات العلمية ووسائل الإعلام وأشكال الثقافة الجماهيرية تظل الحداثة (بوصفها أفقاً للتفكير النظري وممارسة النقد) أداة ضرورية للثقافات القومية وللشعوب الأقل تصنيعاً و"تقدماً"، من أجل التفكير في خصوصيتها وهويتها اللتين لا تستطيعان الإفلات من منطق العصر وقبضة الصيرورة.

وبالنسبة لنا، من الأهمية بمكان أن نعي أن الحداثة متعددة الدلالات لا تستقر عند محطة معينة وإنما تتجه دوماً نحو البحث عن معنى مفتقد وعن أفق يستوعب التراكمات والتحولات انطلاقاً من الحاضر الملموس، من أسئلة الذات والمجتمع. بهذا المعنى، تكون الحداثة ضرورية ورهانا يستحق الجدال والصراع لأنه يستجيب

لحالة واقعية تعيشها الثقافة العربية منذ مطلع هذا القرن وتتمثل في إشكالية تحويل البنىات والعلائق والقيم وسط منطق الصيرورة الكوني وعبر المثاقفة، وما يتولد عن ذلك من تفاوت تاريخي ومن توزع بين منوالية الماضي ومغامرة المستقبل. وبهذا المعنى أيضاً أقول إن لدينا حداثة -مهما اختلفنا في تقويم درجة عمقها- سجلت في الكتابات الفكرية والاجتماعية والسياسية والأدبية التناقضات والصراعات والتوترات التي عاشتها المجتمعات العربية منذ بداية هذا القرن. من ثم فإن الاستمرار في تعميق إشكالية الحداثة يستمد مشروعيتها من الجهود التي بذلها مفكرون

التنويريون ومبدعون الجريئون المجددون. هكذا فإن الخطاب العربي حول الحداثة يُشكل مستوى أساسياً للتاريخ الذي كان وما يزال ينطوي على إمكانات أخرى غير الإمكانات الفقيرة، البئيسة، التي شخصتها تجربة تحديث المجتمعات العربية من خلال استيراد النماذج الغربية والتلفيق بين لاهوتية الحكام ومظاهر العصرية الشكلية...

وبنفس الاعتبار الذي يرى الحداثة على أنها خطاب يبلور أفق التفكير ويكتب تاريخ المجتمع من زاوية مغايرة لتاريخ الأحداث والإنجازات، يمكن أن نذكر أسماء مثل أسماء الطهطاوي، وعبد الله نديم، وأحمد لطفي السيد، وخير الدين وطه حسين، وشبلي شميل، وجبران خليل جبران، والشاعر عبد الرحمن شكري، والشابي، ونجيب محفوظ، وحنانيه، وغائب طعمة فرمان، وصلاح عبد الصبور، وأدونيس، ودرويش، وعبد الرحمن منيف، وغالب هلسا... والقائمة تطول.. فأصوات



الحداثة في الإبداع

تتنصب أمام المبدع، عنصرين اثنين يؤثران في نوعية الإبداع وعمقه:

1- علاقة المبدع بالسلطة:

وهي علاقة لا يمكن أن تستقيم إلا على أساس من التعارض وممارسة المبدع للانتقاد. ذلك أن السلطة ترتبط بمصالح راهنة وتحرص على تبريرها وإضفاء المشروعية على مؤسساتها. والفن في جميع أشكاله هو في نظر السلطة وسيلة لإضفاء المشروعية وتكريس قيم المستفيدين منها. بينما الإبداع يوجد ويتحقق عبر تحوير الواقع القائم واستيعاء الممكّنات التي يحبل بها.. وعندما يتخلّى عن هذا التصور المبدئي فإنه يغدو إبداعاً مدججاً، يُنتج "تحت الطلب" ويستسلم لما يخدم السلطة في جميع مظاهرها (الحكم، المال، الحزب، الطائفة، النجومية، رغبات الجمهور..).

2- علاقة المبدع بالأيديولوجيا:

توجد الأيديولوجيا في جميع المجالات، وتملأ كل الفراغات، ويتخذ تأثيرها تجليات مختلفة، ظاهرة أو مضمرة، وخاصة في إنتاجات المبدعين. وفي مجال الإبداع الأدبي، فإن النصوص تتحقق وسط كتلة من المفوضات المضمرة والفعل تكون سابقة لتدخل الأشكال التعبيرية وشارطة لإنجازاتها الفنية. وفي غالب الأحيان يقدم الإبداع الأدبي علامات وإشارات ورموزاً تتيح قراءة الأبعاد الأيديولوجية التي لم يفكر فيها المبدع.. لذلك فإن علاقته بالأيديولوجيا أكثر تعقيداً مما يظن، ولا تقتصر على النوايا والاختيارات الواعية. ومن ثم ضرورة تفكير المبدع في علاقته بالأيديولوجيا (الأيديولوجيات) من منظور مغاير لمنظور الاستنساخ أو التصادي.. بل على أساس من المساءلة الانتقادية التي تسهم في وضع

الحامل للخلاص، سواء عن طريق تقديم العلم والعقل، أو عن طريق الإيديولوجيا التي تقيم الجنة فوق الأرض. ونتيجة لاختلاط القيم وانسداد الأفاق وانتشار اللأيقين، فإن الأبواب تُشرع أمام الارتداء إلى الماضي، وأمام ازدهار الأصولية والتعصب عندنا وعندهم.

على هذا المستوى، فإن التفكير في الحداثة ومحاولة إعادة تملكها -ضمن سياقنا الثقافي- السياسي- هو في الوقت ذاته تفكير ملزم بمحاورة حداثة الآخر.

(2) إبداع:

إلى عهد قريب، احتفظت كلمة إبداع عندنا بحمولة رومانسية تربطها بالدلالات المنجّدة من الإيديولوجيا الإنسانية التي عوّضت فكرة "الله-إنسان"، بـ "الإنسان إله نفسه" يستطيع أن يبدع ما يشاء وأن يستوحي ذاته ليتحرر من الاستلاب.. وهذا ما أضفى على المبدع صفات "سماوية" تحجب مجموع الشروط المادية والنفسية التي تكمن وراء كل إنتاج فني وتجعله ممكناً في شكل معين. لكن الآن أصبح من المتعارف عليه ضمناً، أن الإبداع لا يعني فقط الموهبة الخاصة للمنتج الفني بل وأيضاً شروط الإنتاج، وطرائق الصنع والتفاعل مع انتاجات أخرى ومع أسئلة الثقافة وذخائر التخيل. لذلك فإن الإبداع لا ينفصل عن وعي ما، وعن تصورات تستمد من خلفيات فكرية وفلسفية ودينية تتضافر جميعها في نسج شبكة التخيل الجماعي. إن الإبداع الفني -بهذا المفهوم- على اختلاف أشكاله ووسائل تعبيره، يشخص تعدد الرؤيات وتغير الطبيعة والإنسان والعلائق. الإبداع ملتصق بالضرورة يستوحي حركيتها ويلتقط عناصرها الجوهرية، ويعيد تشكيل الواقع الغني بالاحتمالات. لكن المبدع -المنتج ليس مطلق الحرية، معفى من الإرغامات. ولعل في طليعة الإرغامات التي

هؤلاء جميعاً تكتسب أهميتها من خلال خطاباتها الملتصقة بالذات الفاعلة، الواعية، التي تنطلق من الحاضر وأسئلته لتبحث عن "مستقبل المعنى" ولتشغل طاقة التخيل والتغيير. إنهم قبل أن يعبروا عن تطلعات جماعية أو مثل عليا، كانوا يفسحون المجال لذواتهم الفاعلة ويعيشون أسئلة الحداثة لحسابهم غير مغامرة التوحد التي يفرضها التفكير والإبداع. ولإدراك أهمية خطابهم الحداثي يلزم أن نتذكر السياق الذي ينتج فيه المبدعون: سياق تغيير صوت المواطن وملاشاة ذاتيته لصالح بنيات كليانية سياسية كانت أم لا هوية... إن الحداثة العربية، عندي، سواء عند تحليل خطاباتها أو عند رسم ملامحها، لا بد أن تقتنن بالحرص على إبراز دور الذات الفاعلة وسط البنيات الكليانية القائمة والمخصية للفكر والإبداع.

ولكن الحداثة، بوصفها أفقا للتفكير تقتضي في نفسي الآن، ألا تغفل كونها ملتقى لتحليل علائقنا بالآخر، خاصة وأن ثمار الحداثة الأولى وعودها جاءتنا من الغرب عبر أكثر من وسيلة وجسر.

ومن ثم فإننا عندما نحلل تعثراتنا، إثر كل أزمة، نستحضر مسؤولية الغرب. وهذا ما أدى إلى المنداة بإعادة النظر في علائقنا بالآخر وفي فهمنا لحداثته. وكثيرة هي الأصوات التي ترتفع الآن في الغرب لتسجل مآزق الحداثة المتمثل في ضياع المستقبل

المستوى المشترك بينها وبين الحداثة «الكونية» فالحركة تبرز دينامية المجتمع وصراعاته والتبدلات المتلاحقة، واهتزاز القيم والأنساق والتقاليد والعلائق. الحركة تشمل الفرد والمجتمع والعالم بمكوناته المادية والثقافية. معناها: كيف يوجد الإنسان ويفكر، ويختار، ويرفض، ويؤمن، ويعمل داخل الحركة التي تميز عالم اليوم عن عالم الأمس البطيء الحركة؟ واللاتيقن متولد عن سرعة الحركة وإيقاعها المذهل الذي يرسخ لدينا بأننا نعيش سلسلة من المشاهد الزائلة، العابرة والتي تجعل الأمل والاطمئنان إلى مثل عليا أو عقيدة، من باب العبث نظرا لتناسخ المعتقدات وانكشاف هشاشتها أمام قسوة التحولات.

هكذا إذا حللنا الحركة وتأثيرها على الثقافة العربية الحديثة، سنجد أن الثقافة قد وضعتنا وجهالوجه أمام قيم وأساليب ورؤيات تفرض علينا المقارنة والتفاعل والانغماس في أسئلة العصر. ويمكن أن نسجل، باختصار شديد، بعض ملامح تأثيرات الحركة على الفرد والمجتمع:

— الفرد:

رغم البنيات التقليدية ووسطية «الأخلاق الجماعية»، فإن الحركة المواقية للحداثة العربية أبرزت دور الذات الفاعلة الراضية لاستمرار الكبت وطمس الذاتية الفردية. بعبارة ثانية، فإن إعادة الاعتبار للفرد كذات ملموسة تعيش معضلات وصراعات مع المجتمع ومؤسساته، هي من نتائج الحركة التي خلخلت سكونية العلائق وسمحت للفرد أن يعي حقوقه انطلاقاً من تجربة الذات وأستلثتها. وقد كان التعبير الثقافي والإبداع الفني عنصرين أساسيين في الإعلان عن ذاتية الفرد وانتقاله من خانة الأرقام إلى مجال الفعل والرفض وإسماع الصوت الداخلي.

ولكنه يستطيع أن يعمق الوعي بهما وأن يمدحهما بشحن من الحيوية والفاعلية، سواء لدى الذات المبدعة أو لدى المتلقي.

على هذا الأساس نقترح من سؤال: كيف تتحقق الحداثة في الإبداع العربي، أي: كيف يتعامل الإبداع مع تحولات المجتمع والفرد والعالم في سياق الحداثة المطبوع - رغم اختلاف التفاصيل التاريخية - بالحركة واللاتيقن؟

في محاولتنا الإجابة على هذا السؤال، سناخذ بالاعتبار الانجازات الإبداعية في مجال الأدب العربي الحديث وأيضاً بعض التصورات التي تعتقد أنها تستحق أن تستحضر عند التفكير في هذه الإشكالية.

لقد اعتمدت عند صياغة السؤال السابق على تعريف أورده جورج بلانديي يقول بأن: «الحداثة هي الحركة زائد اللاتيقن» (3)، وذلك لرونة هذا التعريف وقابليته لأن يبرز خصوصية الحداثة العربية ضمن



الإيديولوجيا موضع تساؤل وتفسح المجال أمام المعيش وما تفرزه جدلية التجربة.

تأسيساً على ذلك، نقول بأن الإبداع إنتاج لتخيّل يستثمر كل «المواد الخام» بدون استثناء، من منظور خصوصي يختلف عن الوسائل التعبيرية غير الفنية الأخرى وعن الخطابات المتصلة بمجالات «محددة». إن ما يميز المبدع عن غيره، مفاخرته في استكشاف مناطق الرغبة والمتعة وتوليد الدلالات داخل ما يبدو تافهاً، وتفجر شهوة الحياة فيما يعتبر راكداً، هامشياً.. ومن ثم تبرز أهمية المبدع بوصفه ذاتاً تمتلك رؤية رافضة للأمر الواقع، والتأويلات الجاهزة، واللغة المتخشبة.. إن ذاتية المبدع، لكي تكون فاعلة ومحركة، تحتاج إلى أن تضع الأشياء والناس والعلائق على مسافة كافية لأن تجعلها تظهر المخبأ، واللامرئي، واللامالوف في الكلمات، والخطوط، والألوان، والأنغام، والأشكال... إنها «المسافة الإستيقية» اللازمة لتحرير المعطيات الخام وتوليد «العوالم الممكنة».

3- إشكالية الحداثة في الإبداع

قصدينا من وراء هذا التحليل الأولي لمفهوم حداثي وإبداع، توضيح الدلالات التي سنعتمدها ونحن نصوغ إشكالية الحداثة في الإبداع العربي وبطبيعة الحال، فليس الغرض من هذا التناول تقديم وصفة جاهزة للراغبين في تحقيق إبداع حداثي، فذلك أمر يخرج عن قدرة النقد والمحللين ويخضع لكيمياء أكثر تعقيداً مما تزال أسرار معادلتها متدثرة في أقمطة الغموض والالتباس. ولكن ما نلصق إليه، هو أن الحديث عن الإبداع والحداثة نظرياً وعلى ضوء الممارسة، من شأنه أن يسهم في بلورة الوعي بأهمية الفن وبإسهامات المبدعين في إغناء الحداثة بوصفها أفقا للتفكير، ومجالاً لتشديد التخيّل وتجديده. وبعبارة ثانية، فمثل هذا التحليل لا يمكن أن يوجد شيئاً منعدياً (الحداثة والإبداع)،

الحدث في الإبداع

— المجتمع: —

ضمن التفاوت التاريخي القائم بين المجتمعات العربية، أحدثت الحركة المواكبة للحدث اهتزازات عميقة حولت المجتمع إلى ساحة للصراع والعنف وتجسيد مظاهر الاستلاب المختلفة. وإذا كانت ثقافة الحدث قد أزلت هالات التقديس عن السلطة والقيم الموروثة، فإن اعتماد الانظمة على السلطوية ومصادرة الحوار والصراع الديمقراطي يجعل الحركة تأخذ تأثيرات سلبية تتمثل في تحويل مجتمعاتنا إلى مستودعات للثقافة الملعبة للاستهلاكية المميتة للحس النقدي.. وبذلك تتحول الحركة إلى دوامة من الشعارات والصراعات والمخترعات المستوردة التي لا تستجيب لاحتياجات حقيقية لدى المواطنين.. فمجتمعاتنا تعيش الحركة المتولدة عن الحدث من موقع الدونية والعجز عن التمثيل والاستيعاب...

وعلى مستوى اللاتيقن: نجد أن تواتر الحبوطات والانهزامات قد ولد لدى الرأي العام العربي جنوحا إلى التشاؤم والشك في جميع الإيديولوجيات، والعزوف عن ضجيج الكلام والخطابات، من الموقع الذي نعيش منه حركة الحدث، وهو عموما موقع التبعية للغرب، وسيطرة العقلية اللاهوتية على السياسة، يتخذ اللاتيقن عدة

تظاهرات تتجلى في التشظي وانعدام النموذج والافق (خاصة بعد أزمة المعسكر الاشتراكي وأزمة الغرب على مستوى تجديد غائية الحياة وقيمها) والاحتماء بالماضي عبر «أصولية» تندثر بالطوبوية لابتلاع حرية الفرد ودينامية المجتمع المدني.

باختصار، فإن حدثنا تعيش من موقعها الخاص إشكالية الحركة واللاتيقن المتصلين بمجال أوسع له أبعاد كونية ويعيش بدوره معضلة الحركة المستمرة وما تولده من امتزاز في اليقينيات وانسداد لأفاق الأمل وابتداء نموذج للحياة.

إن هذه الملامح العامة لإشكالية الحدث تطرح أسئلتها على الإبداع مثلما تطرحها على بقية المجالات التعبيرية والفكرية الأخرى. ولكن ما يهمنا، هنا، هو تفاعل الإبداع (الأدبي تخصصيا) مع هذه الأسئلة التي تبلور وعيا بالحدث وما تنتجه من خطاب يرسم أفقا للتفكير ولتشديد التخييل الجماعي. والإبداع يلتقي مع الحدث، بحسب التحليل السالف، في كونه يعيش أسئلة الحدث من خلال «مسافة» تتيح له أن يشخص -بوسائله النوعية- عناصر التخييل المتصل بعلائق الفرد والمجتمع والعالم وسط دوامة الحركة واللاتيقن. وعندما يتوفر هذا الوعي الحدائي للإبداع فإنه يضع تساؤل أدوائه وغائته ووضعه الاعتباري (le statue). هكذا فإن الإبداع يعيش أسئلة الحدث من خلال إعادة النظر في اللغة والشكل والإيديولوجيا من منظور انتقادي، تجريبي، يسعى إلى الانفلات من الاختناق الذي تفرضه ضوضاء ثقافة التسطيع وغسل الدماغ. ولأن الإبداع يمتح من المعيش والتجربة، من اليومي ومن الأسطوري، من التخييل ومن التاريخ، فإنه يكون أكثر اتصالا بالتحويلات التي يعيشها الفرد والمجتمع على مستوى التفاصيل والمجابهات الملموسة.. وبذلك تتجلى ردود فعل الإبداع على التحولات التي تطال القيم والعلائق والأنساق الإيديولوجية من خلال

ابتداء تشخيص جديد للتخييل يغير الأشكال واللغة والرموز...

وفي ظل هذا التصور يمكن أن نفهم «المسافة» التي أحدثتها الشعر العربي الحديث والرواية والقصة والمسرحية في نماذجها الجيدة... إنها ليست مجرد تعبير أو ترجمة لعواطف وأفكار وتطلعات «جماعية»، بل هي أساسا تشييد لذاتية تستعيد صوته وكيونيتها انطلاقا من الحاضر ومن الذات المأخوذة في شرك الحركة والتبدل، وانطلاقا من الذاكرة وما اختزنه من نصوص، وانطلاقا من تخيل تنبئ عناصرة داخل وعي حدائي مشدود إلى الترحل والانتقال. وإذا كانت الفورة القومية والاجتماعية منذ الخمسينات قد غلبت مقاييس النقد الإيديولوجي للإنتاج الإبداعي، معلية من شأن الالتزام والأدب الهادف، فإن قراءة أخرى تفرض نفسها الآن من منظور الحدث المتخفي للظرفية حتى تستعيد الأعمال الإبداعية وزنها الحقيقي داخل التخييل الجماعي وعبر «المسافة الإستراتيجية» التي أتاحت لها أن تتحقق وفق أدائها ولغتها المميزة. ولعلنا سنجد في الانتقادات الذكية التي وجهها أورو إلى مفهوم الالتزام عند سارتر، مدخلا لتثبيت استقلالية العمل الفني النسبية ليكون تأثيره وحضوره أعمق من إعلان موقف أو تمجيد إيديولوجيا: «... ذلك أن الأعمال الفنية يعهد إليها بأن تقطف وتختزن -في صمت- ما يكون الوصول إليه ممنوعا على السياسة». أو بعبارة ثانية كما قال: «لا يركز الفن على تقديم بدائل، بل على المقاومة: أن يقاوم عن طريق الشكل ولا شيء غيره، مجرى العالم الذي يستمر في تهديد الناس وكأنه مسدس مصوب نحو صدورهم» (4)

إن هذا التحديد لوظيفة الإنتاج الإبداعي يقربنا أكثر إلى دائرة الحدث في الإبداع، لأنه يحصره من التبعية للسياسي، والإيديولوجي ويضع وجهه لوجه أمام المواد الخام ليصارعها انطلاقا من اللغة

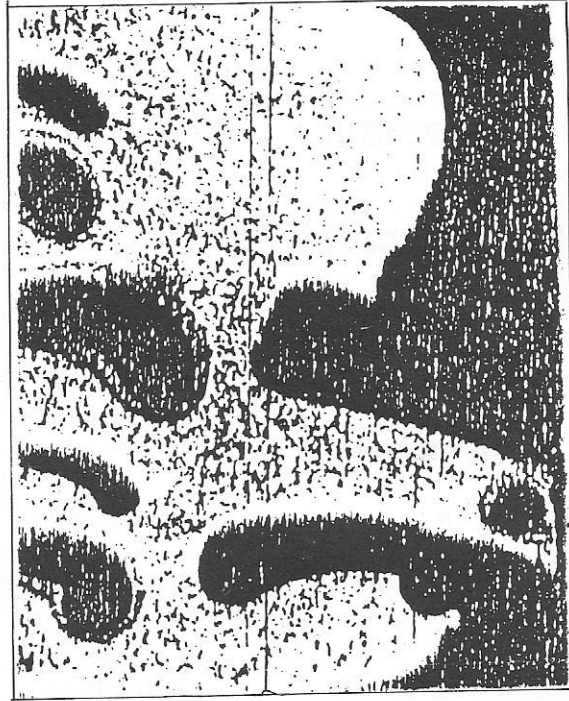
وايديولوجيا كانا يتدثران بالأوهام أكثر مما كانا منغرسين في واقع دائم التحول.. وتبرز الذاتية أيضا من خلال جعل الميتا-تخييل جزءا من النص.. بذلك فإن «نجمة أغسطس» لا تشخص فقط اللاتيقن من خلال شعور السارد-الشخصية بالعجز عن الفعل بعد الحركة المخلخلة للمجتمع، وإنما تبرز كذلك الارتياح في وسائل التعبير «الواقعية» المألوفة...

ب- الزمن الآخر:

في هذه الرواية التي أصدرها إدوار الخراط سنة 1985، نجد بلورة لسمات حدائية عبر تشكيل فني مختلف. وقد لا أكون مجانباً للمقصود إذا قلت بأن «الزمن الآخر» تقدم نموذجا للرواية «الكلية» التي لاتضع حواجز بين الاجتماعي والميتافيزيقي، بين التاريخي والأسطوري، بين النضالي والعشقي... على أساس من صوغ حوار (بالمعنى الباختييني) «يعتبر كل شيء وسيلة والحوار غاية» كما يعتبر أن صوتين اثنين هما الحد الأدنى للحياة والكيثونة». إن اللغة هنا، بحسبيتها وتجريداتها، بشعريتها وجسدانياتها، تعمل على انتزاع التخييل من اللغة العادية المتخشبة.. ذلك لأن قاموس التخييل هو أعمق من معاجم التقنين والتنظير والأدلة...

ج- وليمة لأعشاب البحر:

يرنو حيدر حيدر في هذه الرواية، وبطريقته، إلى إنجاز نص كلي يضفر فيه الخطاب-التاريخي إلى جانب الخطاب التخيلي، مراوحاً بين وصف اليومي المكرور، وشعرنة الأسطوري القابع في الذاكرة وما اختزنته من نصوص.. لكن حيدر حيدر يتوسل بتشخيص التعدد اللغوي لإبراز صراع القيم وانجلاء الأوهام



العربية المؤشرة على تحقيقات مختلفة للحدائنة كما حاولنا رسم ملامحها. وبطبيعة الحال، فإن هذه النماذج هي مجرد جزء من إنتاج روائي عربي واسع وغني بتجاربه وبكتابه.

أ- نجمة أغسطس:

تلقت هذه الرواية التي صدرت سنة 1974، النظر بانزياحها الشكلي عن الأشكال الروائية العربية المتداولة آنذاك. ذلك أن «العوالم الإيديولوجية» داخل المجتمع المصري عرفت تحولات واهتزازات، خاصة بعد 1967، فكان لابد من إيجاد طرائق مغايرة لتشخيص التخييل الآخذ بالتحول. وأكثر ما يبرز ذلك داخل «نجمة أغسطس» في تنويع الخطابات وتعدد اللغات لاستيعاب تعدد قائم بالفعل داخل المجتمع طبقيا وفكريا وعقائديا.. لكن إلى جانب ذلك تعود الذات أو الذاتية من خلال صوت السارد-الشخصية لتضع «مسافة» تستجلي عبرها موقعها وعلائقها مع عالم

والتشكيل إلى الترميز والتخييل وتشديد التخييل. وبهذا المعنى لا تكون الحدائنة في الإبداع قائمة على علاقة ملائمة «فراغ» مفترض في الإبداع، بحمولات جاهزة للحدائنة، وإنما تكون علاقة حوار وجدلية تكتسب غناها من خصوصية الإبداع الشكلية والرصدية، وفي خصوصية الحدائنة بوضعها أفقا للتفكير المتجدد باستمرار، انطلاقا من الرؤية الانتقادية التي تؤرخ للذاتية وللحركة المغيرة للتخييل الجماعي.

على هذا النحو، تكون الحدائنة أحد الشروط المحددة للإنتاج الأدبي، أي أحد الشروط التي تخرج الإبداع من دائرة الخلق الهيومانية المكررة لنفسها والمثبتة لهوية الإنسان، إلى دائرة إنتاج إبداع له أبعاد معرفية تشخص علائق الصيرورة والتحويلات كما تلتقط تبدلات الهوية من خلال نوسانها بين الماضي والمستقبل عبر أسئلة الحاضر.

أريد أن أختتم هذا العرض بإشارات مركزة إلى بعض الإبداعات الروائية

الحدث في الإبداع

وأيضا لانتقاد المحرمات وتجسيد كابوس الكليانية الساحقة للمواطن العربي.

د- حجر الضحك:

استطاعت هدى بركات في هذه الرواية أن تبتدع مسافة فنية تسمح بتجسيد عميق لتأثيرات حرب الطوائف في لبنان على الفرد والجماعة في خضم حركة الحرب الداخلية المدمرة لا يعود هناك شيء مُعطي نهائيا بما في ذلك إنسانية الإنسان. فغزائر القتل والفاشية والإبادة تستيقظ تدريجيا لتكتسح كل الفئات والعشائر فنحس، من خلال التشخيص اللغوي وتفاصيل العيش في ظل حرب غير معقولة، أن نموذج اللبناني العربي الذي كان بالأمس القريب هو الجنّلمان «المتحضر»، قد خلفه نموذج الميليشياوي اللاإنساني...

إن هذه الروايات ومثيلاتها المكتوبة من لدن مبدعين يعيشون في مختلف أنحاء الوطن العربي، لا تكتسب قيمتها من انتمائها إلى حركة حداثة أو إطلاعية مباشرة، وإنما تتمثل قيمتها، أساسا، في الصوغ الشكلي والدلالي للعمل الذي يضعنا، عبر مسافته الإستيقية، أمام أسئلة تكشف الحاضر بما هو عليه وتحثنا على البحث عن «مستقبل المعنى» المحفوف بالحركة واللاتيقن: إذ لم يعد بالإمكان أن

السنة التسعينية، سنة انعطاف تاريخي؟

قراءة في انتفاضة 14

دجنبر 1990 وأحداث

سنة 90

احمد راكنز

لاشك أن سنة التسعين تشكل محطة تكاد تكون نوعية في العقد والنصف الذي قضته بلادنا في ظل التحولات التي عرفتتها منذ منتصف السبعينات.

يعود ذلك إلى الأحداث البارزة والضخمة التي عرفتتها تلك السنة، سواء على مستوى النخبة السياسية وعلاقاتها ببعضها أو بالسلطة، أو على مستوى التحرك الجماهيري.

نربط إنتاج الروائي أو الشاعر بالتعبير عن «يقين» قائم أو متوهم، ذلك أن أحداثه (منظورا إليها من الزاوية التي حددناها) تتمثل في تشخيص العلائق المستجدة داخل أكوان واديولوجية تعيش مأزق اللاتيقن، وضراوة التمزق والانفصام.. ومعنى ذلك أن على الأدب أن يتحول إلى صوت للصميمية المنبعثة من الذات، وإلى لحظة صدق يتعري فيها الكاتب والمتلقي معا ليقبضا على ما يضيء ولو كانت إضاءته لا تقود إلا إلى الجحيم شريطة أن نرتاده مُفتحي العيون. □

الرباط - قابس 10 يوليوز 1991

ألقى هذا النص في الندوة التي أقامها مهرجان قابس تحت عنوان: «العرب في مواجهة مصيرهم»، خلال شهر يوليوز 1991.

(1) أنظر كتابه: مدخل إلى الحداثة، بالفرنسية، نشر دار مينيوي، 1962، باريس.

(2) في كتابه: Modernite, Modernite, نشر Verdier, 1988، باريس.

(3) في كتابه: Georges Balandier: Le detour: Pouvoir et Modernite, ed Fayard 1985, Paris

(4) أنظر كتابه: Notes sur la litterature, نشر فلاماريون، 1984، باريس، ص: 285-286.

ع

وإذا كانت النتائج التي أفرزتها تلك الأحداث لم ترق إلى المستوى المطلوب والذي يوازي ضخامة ما جرى، فإن ذلك لا ينقص من أهمية ما جرى ولا بد أن تشهد الأماد القريبة والمتوسطة المقبلة نتائج هامة. فما الذي جرى إذن وجعلنا نقول ما قلناه؟ وبماذا يفسر الذي جرى؟ وماذا نستخلص مما جرى؟

1- الذي جرى

كما أشرنا إلى ذلك نعتبر أن سنة التسعين تمثل محطة تاريخية على المستوى العالمي وعلى المستوى العربي، ثم على المستوى الوطني. وهذا الأخير هو ما سنركز عليه مكتفين بالإشارة العابرة إلى المستويين الأول والثاني من خلال عناوين سمتهما.

فالمستوى الأول عنوانه البارز أحداث أوروبا الشرقية وذويان ما كان يعرف سابقا بالكتلة الاشتراكية والتحولات التي طرأت على أنظمتها باتجاه الانتكاس اشتراكيا والانتعاش ليبراليا ورأسماليا..

أما المستوى الثاني -العربي- فإن عنوانه البارز: أزمة الخليج وحربه وما نتج عنها من إعادة صياغة المفاهيم والتحالفات الرسمية العربية وأيضا تلمل شعبي -مهما كانت دوافعه- افتقدته الساحة العربية منذ الستينات.

وكما ذكرنا، سنركز على المستوى الوطني لأنه هو الذي يهمنا في هذه المقالة بالرغم من وجود عناصر ارتباط بين

المستويات الثلاث قد نشير إليها عند اقتضاء الحال.

لا يمكن لأحد أن يجادل في كون سنة التسعين قد شهدت كثافة في الأحداث السياسية والاجتماعية ترجمت نهوضا وطنيا وشعبيا. على المستوى السياسي شهدت السنة التسعين المعنية عدة وقائع وقرارات:

1) مؤسساتيا:



برزت للوجود مؤسستان قدّمتا على أنهما تحول ديمقراطي مهم بالنسبة لمستقبل المجتمع المدني:

- المجلس الاستشاري لحقوق الانسان.

- المجلس الوطني للشباب والمستقبل.

كما شهدت الحكومة إضافة مناصب جديدة وترقيات:

- كاتب الدولة مكلف بحقوق الإنسان بوزارة الداخلية.

- رفع درجة وزير الخارجية إلى وزير دولة فوق العادة.

- إنشاء وزارة التجارة الخارجية.

- إنشاء وزارة «الخصوصية».

إضافة إلى أن عدة مدن عرفت تقطيعا إداريا جديدا أصبحت بموجبها مراكش ولاية من ثلاث عمالات، وفاس ولاية من عمالتين ومكناس ولاية من عمالتين. وأحدثت عمالتين هما طاطا وجردة.

كما شهدت هذه الفترة تضاملا لدور الوزارة الأولى أمام تعاظم دور وزارة الداخلية والتنسيق في الحكومة.

2) قارريا:

عرفت البلاد رُزنامة من القرارات السياسية ذات الأبعاد المختلفة صدرت عن السلطة السياسية ثم أيضا عن المعارضة.

1- إجراءات السلطة السياسية:

لا تهمنا هنا القرارات الروتينية ولكن القرارات ذات الطابع السياسي والتي قدّمت على أنها هامة. وفي هذا الإطار تأتي القرارات التالية:

- الإعلان عن إنشاء محاكم إدارية عادية.

- الإعلان عن تعديل بعض فصول المسطرة الجنائية المتعلقة بالاعتقال الإحتياطي (تمت المصادقة عليها من طرف البرلمان في دورة أبريل 91).

السنة التسعينية

- تنفيذ الإضراب العام الذي نظمته ك.د.ش.و.ع.ش.م. يوم 14 دجنبر، والذي تحول إلى هبات شعبية في عدة مدن مغربية استمرت أياما بعد ذلك وانتهت إلى مجازر ضد المتظاهرين واعتقالات بالجملة.

- مظاهرات عفوية هنا وهناك جرت تضامنا مع العراق.

كانت هذه أبرز الأحداث التي جعلت سنة تسعين، في نظرنا، سنة أنعطاف تاريخي لا بد له من تأثيرات على صعيد التطور السياسي لبلادنا حتى ولو تأخرت شيئا ما.

صحيح أن العقد والنصف المشار إليه كانت بعض سنواته علامات متميزة في التطور السياسي للبلاد، منها: إضراب الموظفين سنة 1979، انتفاضة يونيو 1981 بالبيضاء، انتفاضة الشمال ومراكش يناير 1984... من حيث خروج هذه السنوات عن ثوابت الصيغة السياسية السائدة آنذاك، غير أن أية سنة من تلك السنوات لم تشهد تراكما حدثيا واجتماعيا، بقدر ما شهدته التسعين، ومن هنا تبلورت كمحطة تاريخية.

II تفسير ما جرى

لم تكد تنتهي التجربة الانتخابية الثانية (90/84) حتى فاجأت السلطة السياسية البلاد بإعلانها عن استفتاء لتمديد عمر البرلمان سنتين أخرتين، حتى ينتهي الاستفتاء حول تقرير المصير الذي ستشرف عليه الأمم المتحدة في الساقية الحمراء ووادي الذهب. وقد جاء ذلك في وقت كانت القوى السياسية المغربية تستعد جاهدة لدخول الانتخابات.

الإعلان جَمَدَ الاستعدادات المذكورة وشكل مدخلا لمشاورات بين أطراف النخبة السياسية فيما بينها ثم بين بعض أطراف هذه النخبة السياسية والسلطة. وكما كان منتظرا فقد وافقت تلك القوى على التمديد بالرغم من تحفظات بعضها، وغداة

- عقد مناظرة الشيوخ والمقدمين بالدار البيضاء.

أما في جانب المعارضة الشرعية فيمكن تسجيل القرارات والإجراءات السياسية التالية:

- نداء فبراير الذي وجهته اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية - المكتب السياسي، من أجل توحيد صفوف المعارضة وبدء المشاورات على إثره مع حزب الاستقلال، حزب التقدم والإشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي.

- رفع مستوى التنسيق البرلماني بين فرق المعارضة إلى مستوى تشكيل جبهة برلمانية موحدة.

- تدعيم التنسيق بين المراكزين النقابيتين ك.د.ش.و.ع.ش.م.

- تقديم ملتمس الرقابة - إعلان الميثاق الوطني لحقوق الإنسان.

- تشكيل اللجنة الوطنية لمساندة العراق.

3 اجتماعيا:

- مظاهرة مساندة الشعب الفلسطيني التي نادى بها الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني وجرت بالرباط يوم 5 يونيو ممثلة أول مظاهرة شعبية ضخمة لها في التاريخ الحديث للشعب المغربي.

الاستفتاء مباشرة أعلنت السلطة السياسية عن فهمها وتفهمها لموقف قوى المعارضة ومن ثمة فإنها استنكبت على إتقان (Perfectionnement) للوضع الداخلي. والموقف من الجانبين - القوى السياسية المعارضة والسلطة - هو إيدان باستئناف الحلقة الثالثة لما تعرفه تلك القوى بالمسلسل الديمقراطي، بنفس المنطق الوفاقي الذي ساد الحلقتين السابقتين والذي تحدد بموجبه المشاورات، شروط «اللعبة» (Le jeu) السياسية بما فيها الانتخابات.

إذا كانت قضية الصحراء قد خيمت بكثافة على وفاق التجريبتين السابقتين وساهمت بحدّة في تحديد مواقف قوى المعارضة الرسمية، فإن عوامل جديدة دخلت في السنة الأخيرة لا يمكنها أن تتركها تنفرد لوحدها بتحديد سقف المشاورات. ونعني بهذه العوامل:

- التحولات التي طرأت في أوروبا الشرقية وكثير من بقاع العالم وما أحدثته من إبراز لقضايا حقوق الإنسان.

- التحولات باتجاه الديمقراطية التي عرفها محيط بلادنا المغاربي سواء في الجزائر منذ أحداث أكتوبر 1988، ثم أيضا في تونس.

- الوعي المتنامي بقضايا حقوق الإنسان ببلادنا ومحاولة احتوائه من طرف السلطة السياسية بواسطة خطابها ثم ببعض الإجراءات القانونية.

- التنامي المفاجئ للمد الإسلامي في الجزائر كرد فعل على عمق الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والاحتكار السياسي.

العوامل المشار إليها، كان لا بد لطرفي الصيغة السياسية المنتصف سبعينية والثمانينية، كان لا بد لهما من أخذها بعين الاعتبار وإدخالها في حسابها التجديد الصيغة.

الطرف الأساسي في الصيغة محددا في السلطة السياسية فكر في الاحتواء من

خلال الهروب إلى الامام بتبني بعض خطاب المعارضة الشرعية ذاهبا إلى حد الإحياء بإمكانية المراجعة الدستورية أما الطرف الثاني فقد أهملته العوامل المشار إليها إلى التفكير المشروع، بل والواجب أيضا، في انتزاع أكبر قدر يمكن من تحقيق المكتسبات السياسية باتجاه مشاركة أكبر في القرار السياسي خاصة إذا عرفنا أن التملل المستاء من التوجهات والتكتيك الحالي لأطرافه بدأ يقوى ويرتفع صوته بحكم عدم ظهور المكتسبات التي تبرر بها تلك التوجهات، وبحكم دخول فئات شابة جديدة معترك العمل الحزبي و تأثرها بما يجري حولها.

- تكتيك الإحتواء جسده الإعلان عن الرغبة في «اثقان» الصيغة السياسية (Perfectionnement) وإجراء مشاورات مع القوى السياسية.

- أما تكتيك العزم الجدي على تحقيق المشاركة في القرار السياسي فقد ترجمته التحركات السياسية لأقطاب المعارضة الشرعية، سواء على مستوى إبراز حدة في الخطاب أو على مستوى توحيد التحركات الإجتماعية وإعطاء الضوء الأخضر لها وتبني النضالات العمالية والاجتماعية بشكل عام.

ومن دون شك فإن المتتبع للأوضاع السياسية بالمغرب لاحظ التملل الذي ساد الساحة السياسية المغربية قبل حرب الخليج من طرفي الصيغة السياسية ومحاولتهما ممارسة تكتيكاتهما المشار إليها كما برز من خلال مبادراتهما التي أشرنا إلى بعضها:

- إعلان حسن نية السلطة السياسية وتلميحها بعزمها على القيام بشيء ما حتى أن البالونات السياسية كثرت (الحديث عن عفو شامل - الحديث عن المراجعة...) ثم تتويج هذا الإعلان بخطاب ماي حول دولة القانون وحقوق الإنسان والإعلان عن المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الخ... وفي الطرف الآخر تصعيد لهجة النقد وإكثار الحديث عن وحدة قوى

المعارضة ثم التنسيق بين أطرافها، وأيضا دعم المبادرات النضالية للنقابات. وقد بلغ هذا التكتيك قمته خلال التلويح بالإضراب العام في شهر أبريل، ثم تقديم ملتئم الرقابة داخل البرلمان.

جاءت أزمة الخليج في ظل هذه الظروف لتفاجئ طرفي الصيغة السياسية، خاصة بعد منعطف 2 غشت وهجوم العراق على الكويت، لتترك في بداياتها الحسابات، ثم لتجمد في فترة لاحقة الجانب الداخلي من السياسة في المغرب لمدة أشهر.. وعاد بعدها الطرفان إلى تكتيكهما السابق. فعند انطلاق الحرب، حاولت السلطة السياسية تجبيرها لصالحها من خلال اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية الرادعة والتلويح بتوقيف الصيغة. وبعد وقت قصير من التريث عادت المعارضة إلى تكتيكها الضاغطة مستغلة بذلك الورقة القومية خاصة بعد ظهور بوادر انفلات الفئات الهامشية الخارجية عن تأطير وتوجيه النخب السياسية، من خلال تنظيم تحركات مناصرة العراق مما فرض على السلطة السياسية العودة إلى تكتيك الإحتواء من جديد والوقوف في منتصف الطريق بين العراق والكويت وتحالفاتهما.

وإذا كانت السلطة السياسية قد استفادت من حرب الخليج في بدايتها بحيث كسرت تلك الحرب النهوض المتنامي للخط التصاعدي في تكتيك الضغط المحسوب الذي مارسه المعارضة الشرعية منذ بداية ربيع 90 وبلغ ذروته في التهديد بالإضراب العام في أبريل وتقديم ملتئم الرقابة، ثم طرح التصور للإصلاح السياسي، فإن هذه الحرب قد لعبت في النهاية لصالح المعارضة بحيث مكنتها من إبراز حجمها وتعاطف فئات واسعة مما جعلها تأخذ المبادرة وتكثف تكتيك الضغط من خلال إعادة طرح الملف الداخلي وبلهجة أكثر صرامة من السابق توجها للإعلان، بعد عدد من التحركات ذات المنحى القومي، عن 14 دجنبر يوما للإضراب العام والتشبيب به حتى النهاية.

لقد أرادت المعارضة الشرعية من 14 دجنبر أن يتموقع ضمن تكتيك الضغط المحسوب داخل سقف المتاح بحكم سياسة التوافق المرن والمحسوب التي شكلت ولا زالت تشكل مرتكز التجربة المؤسساتية المنتصف السبعينية، غير أن دخول الهوامش بشكل غير متوقع في حجمه أربك من جديد قواعد «اللعبة» وأضفى عليها بعدا أكبر من ذلك الذي توقعته، موقعتها بداخله، المعارضة الشرعية.

ومن جديد أكدت أحداث 14 دجنبر وما بعده ما سبق أن أكدته الانتفاضتين الثمانينيتين السابقتين: البون الشاسع بين قواعد ودينامية وضوابط الصيغة السياسية المنتصف سبعينية، وبين الحد الأدنى من متطلبات القوى المهمشة في المجتمع والتي تشكل قاعدته الأساسية والواسعة. ومن جديد أكدت 14 دجنبر ما أكدته الانتفاضتين السابقتين من عجز أطراف النخبة السياسية المعارضة، بجميع أطرافها هذه المرة، بما فيها الغير الشرعية، عن تأطير القوى المهمشة في المجتمع ومن جديد أكدت 14 دجنبر عجز التعبيرات التنظيمية لأطراف النخبة المعارضة عن ضبط مؤشرات مقياس الصراع الاجتماعي.

غير أن هناك إضافة جديدة أضافتها أحداث 14 دجنبر بالمقارنة مع سابقتها، تمثلت هذه الإضافة في عمق البعد السياسي الذي أضفته على النضال الديمقراطي. فإذا كانت يونيو 1981 قد ارتبطت بمحاولة فرض توصيات صندوق النقد الدولي وعلى رأسها زيادات ماي الشهيرة في الأسعار كسبب مباشر، وإذا كانت انتفاضة يناير 1984 في الشمال ومراكش قد انفجرت أيضا لأسباب مباشرة قطاعية، فإن أحداث 14 دجنبر جاءت نتيجة أسباب سياسية مباشرة. وإذا كانت كتنويع جماهيري (وليس حزبي منظم) لتفاعلات الوضع الداخلي مع الوضع الخارجي بمكوناته الأوروشرقية - مغربية - الخليجية، وما

السنة التسعينية

الذي أظهرته السلطات، مما جعل تلك القوى تتراجع عن استعجالية بعض شعاراتها الحاسمة آنذاك، وتدخلها في حيز «الروتين المطالبي».

(2) أظهرت أحداث 14 دجنبر أن وجود حد أدنى من التعاطي المتبادل بين شعارات أطراف المعارضة الشرعية والجماهير يمكن أن يؤدي إلى إحداث اختلال في التوازن القائم المتحكم في الصيغة السياسية السائدة لصالح تأسيس توازن جديد شريطة أن تسلك أطراف النخبة المعارضة نهجا جديدا في التعاطي مع الصيغة المعنية. لكن نسجل بأسف عدم وجود هذا التعاطي الجديد ومن ثمة معالجة الأحداث بنفس منطق ما قبل 14 دجنبر.

(3) إذا كانت الفترة التي سبقت الأحداث قد شهدت بعض الزخم السياسي بحكم المبادرات السياسية للمعارضة الوطنية والتحالف فيما بينها (ملتزم الرقابة - الإضراب العام...) مما أظهر أهمية وقوة وحجم هذه المعارضة إن هي انتزعت المبادرة من السلطة السياسية، فإن أحداث دجنبر أظهرت بالمقابل قوة الفئات المهمشة واختلاف منطقتها وأساليبها النضالية عن منطق وأساليب النخبة السياسية المعارضة.

إن هذا المنطق والأساليب (للفئات المهمشة) لم تستطع دموية القمع الذي ووجهت به في 1981 و 1984 من الحيلولة من تجدها بالرغم من وجود «مؤسسات وخطاب» و«نخب» هيأت بالذات من أجل ضبطها.

وإذا كانت أحداث دجنبر لم تسفر على تحولات يمثل ضخماتها كما كان الشأن بالنسبة لأحداث تيمشوارا في رومانيا في 1990 أو على الأقل أحداث أكتوبر 1988 في الجزائر ثم ما وقع في بعض بلدان إفريقيا السوداء، إذا كان الأمر كذلك فمردده إلى

البون الشاسع الذي يفصل منطق النخبة المعارضة، ومنطق الجماهير المتضررة من الصيغة السياسية المنتصف سبعينية، منطق التكتكة بدون استراتيجية نضالية، ومنطق استراتيجية بدون تكتيك.

إن منطق إحتواء السلطة السياسية التي تمارسه النخبة المعارضة منذ نشوئها حتى الآن، جعلها تصل في نهاية الأمر إلى استراتيجية التكتيك ومن ثمة أسقطها ذلك في ذيلية موضوعية لأطروحات السلطة السياسية من إبرازها (الذيلية) كاسلوب دفاع وحيد للنخبة المعارضة من أجل الحفاظ على وجودها مما جعل المنطق المذكور يتحول إلى منطق معاكس، أي احتواء السلطة السياسية للنخبة المعارضة مما جعل من استراتيجية هذه الأخيرة تكتيكات، قدمت أحيانا لكنها تبقى تكتيكات لا تنجز تراكما يذكر بغض النظر عن خطاب التمجيد الذاتي الذي يمارسه إعلام هذه النخبة.

مقابل هذا المنطق كما أسلفنا يوجد منطق الجماهير المتضررة من الصيغة السياسية السائدة والذي عبر عن نفسه في أسلوب الانتفاض العنيف نسبيا والمكرس لروتينية ورتابة الحياة السياسية المغربية. وإذا كانت الأحداث التي برز فيها هذا المنطق بقوة غالبا ما تتزامن مع تكتيكات المعارضة (إضراب يونيوني بالبيضاء 1981 وإضراب 14 دجنبر 1990)، فإن الإلتقاء الكرونولوجي لا يمنع من تصادم المنطقين وتجاوز الطابع العقوي للجماهير المهمشة لطابع التكتيك المحسوب للمعارضة، مما يجعل هذه الأخيرة تتخلف عن منطق الجماهير تحت تبريرات ميزان القوى.

إن منطق الانتفاض العقوي تعبير عن رغبة عميقة في التغيير الجذري أي يعمل موضوعيا ضمن استراتيجية أفرزها الواقع المازوم جدا للأوضاع في البلاد. أما منطق النخبة المعارضة فيعمل من أجل استغلال

أنته في الساحة المغربية من تملل أطراف النخبة تلمسا لما سيكون عليه الشكل الثالث للصيغة السياسية المنتصف سبعينية المستمرة حتى الآن، طابعها السياسي المباشر يكمن في تزامنها مع نداء الإضراب العام للك.د.ش، وتوجيه الغضب الشعبي المناهض للعدوان الأمريكي على العراق.

III خلاصات مفتوحة مما جرى

(1) منذ ربيع 1990 أظهرت أطراف النخبة السياسية المعارضة بعض البراعة في التعامل مع أحداث الخارج التي عرفتها أوروبا الشرقية والمغرب العربي، ثم أيضا حرب الخليج من خلال استغلالها لهذه الأحداث لإظهار حجمها وحجم تعاطف قطاع هام من الشعب مع بعض شعاراتها. غير أن هذه البراعة افتقدتها في التعامل مع أبرز حدث سياسي واجتماعي عرفته البلاد في العقد الأخير والمتمثل في أحداث دجنبر والطابع السياسي الذي أضفته على حركة الإضراب العام الذي دعت إليه النقابتان. وإذا كان من الصحيح أن تعامل قوى المعارضة مع أحداث دجنبر مثل تقدما لموسا بالمقارنة مع أحداث 81 و 84 بالبيضاء والشمال ومراكش بحكم الظروف الموضوعية، فإن ذلك التقدم لم يستمر ولم يتجاوز حدود الخطاب أمام «الحزم القمعي»

بحث ميداني

القراءة لدى الكتاب
المغاربة

المصطفى أجماهري

للبحوث في ميدان القراءة أهميتها في الدراسات الاجتماعية
والاعلامية. إلا أن مثل هذه البحوث تعاني من نقص كمي ليس
على صعيد المغرب فحسب، بل حتى على مستوى الوطن العربي
من خليفه إلى محيطه. ويمس هذا النقص بطبيعة الحال واقع
المعلومات والإحصائيات المتعلقة بالكتابة والقراءة أو بالتعامل
مع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة.

بحث حقلي سابق أجراه الباحث أو آخر عام
1986 حول جو القراءة لدى الموظفين،
والمنشور تحت عنوان: (ماذا يقرأ الموظفون
المغاربة؟) (1)
ولقد واجه البحث صعوبة أساسية
تمثلت في عدم الحصول على مجموع
الاجابات التي كان من المنتظر والمأمول
التوصل بها. فبالرغم من صغر حجم
الاستبانة، ومحدودية بياناتها، وتوظيفها
لأسئلة مغلقة غالباً لتشجيع المبحوث على
الجواب الفوري، إلا أن بعض الكتاب ممن
وعدوا بالرد عن طريق المراسلة، غفلوا عن

ومن بين البحوث القليلة المنجزة
بالمغرب حول القراءة، يمكن أن
نذكر البحث المشترك لأحمد
الرضا ونيومحمد بنيس،
المنشور بمجلة (الكرمل) عدد 11-1984،
وبحث محمد المرجان (قراءة التلاميذ)،
المنشور بمجلة (على الأقل) العدد الأول
1991، كما أن هناك بعض بحوث التخرج
المقدمة في إطار مؤسسات التعليم العالي،
والتي اهتمت بالقراءة خاصة لدى التلاميذ.
وقد سعى هذا البحث حول القراءة لدى
الكتاب المغاربة، ليكون تقريباً على شاکلة

الأحداث ضمن تكتيك الإحتواء بين السلطة
السياسية والنخبة، والذي أشرنا له سابقاً،
عوض أن تستثمرها لصالح استراتيجية
التغيير الديمقراطي الفعلي.
إن الاستراتيجية بحاجة إلى تكتيك،
والتكتيك بحاجة إلى استراتيجية. والقفزة،
أي التحول النوعي، تحدث دائماً عندما يكون
التناغم والإنسجام بينهما موجوداً. وفقدانه
لا يمكن إلا أن يحول دون تحقيق ذلك
التحول النوعي. وهذا ما لم تستوعبه النخبة
المعارضة، مما فوت عليها فرصة تحقيق
الإنجاز العظيم في أحداث 14 دجنبر وما
بعدها، الالتحام بين النخبة والجماهير
المهمشة من خلال تبني منطقها وتطبيق
منطق احتواء استراتيجية السلطة
السياسية..

كلام للختم: عود إلى بدء

بحكم تراكماتها السياسية والنضالية
وأحداث 14 دجنبر، وبحكم محيطها
السياسي العالمي والمغربي والعربي، شكلت
سنة 1990 نقطة تحول أساسية في العقد
الأخير، غير أن المفارقة حتى الآن تكمن في
عدم إفرازها لنتائج سياسية تمثل حجم
أحداثها.

لا شك أن أطراف النخبة السياسية
بالخصوص منها المعارضة، تتساءل
بدنيامية صامتة عن جوهر المفارقة. هل
سيكون الجواب في صميم التساؤل
وبالتالي تشكل سنة التسعين سنة انعطاف
تاريخي أم ستعود «حليمة إلى عاداتها
القديمة»، فتتجرع الجماهير مرارة
تضحياتها بدون بديل لزم، قد يطول،
لكنه لا بد أت، عندما ستفرز نخبتها الأصلية
على طريق اكتسابها لاستقلاليتها السياسية
والتنظيمية المؤطرة لديناميتها؟ سؤال لسنا
قادرين على الإجابة عليه؟ على الأقل في
المدى القريب! □

ماي 1991

كما تمثل القراءة عنصرا فعالا في التواصل الثقافي وفي التنمية المعرفية للفرد والجماعة معا. (6)

مجتمع البحث: مجتمع البحث هم الكتاب المغاربة المنضوون تحت لواء اتحاد كتاب المغرب. وقد شمل البحث عينة منهم أثناء تجمع للكتاب المغاربة بمدينة الرباط. وبالتالي تعتبر هذه العينة عينة عمدية تشكلت من الحاضرين. وتم البحث على أساس استبانة طرحت نوعين من الأسئلة: أسئلة شخصية عن المبحوث، وأسئلة تغيت استكشاف شرط القراءة لديه.

ونشير بداية إلى أننا وزعنا 50 استبانة، توصلنا بأكثر من نصفها، أي بلغة الأرقام 33 استبانة تمثل 33 كاتباً. وكل المبحوثين من جنس ذكر. أما باقي الفروقات التوزيعية الأخرى لنفس العينة، فجاءت كالتالي:

التوزيع حسب الوظيفة

5	موظف أو مستخدم
13	أستاذ
8	أستاذ جامعي
3	محام
4	صحفي

التوزيع حسب التخصص في الكتابة

13	شعراء
9	قصاصون وروائيون
9	نقاد وباحثون
2	مسرحيون

التوزيع حسب السن

3	من 30 إلى 35
7	من 35 إلى 40
15	من 40 إلى 45
7	من 45 إلى 50
1	من 50 إلى 55

التوزيع حسب السكنى

15	منطقة الدار البيضاء
7	منطقة مراكش
6	منطقة الرباط
5	منطقة وجدة

القراءة لدى الكتاب المغاربة

ذلك.

والحقيقة أن تلكؤ المختصين والمهتمين بالثقافة عن ملء الاستبانات - علما بأنهم الأكثر وعياً بأهمية البحث العلمي - هي مشكلة يعاني منها كثير من الباحثين. ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى ما صرح به الباحث المغربي أحمد زيايدي أمام لجنة مناقشة رسالته الجامعية بكلية آداب الرباط، حيث قال: (... ومما يؤسف له أن الاجابات التي تلقيتها كانت قليلة جداً، أما مراسلاتي لبعض الباحثين المختصين في جوانب من الموضوع فلم أتلّق عنها أية إجابة) (2).

أمام هذه الحالة اكتفينا بما تحصل لدينا من استبانات، وعددها 33 استبانة. وهي عينة صغيرة، ولكنها مقبولة وكافية لإعطاء فكرة ولو محدودة عن قراءات الكتاب المغاربة، كما أكد لنا ذلك مختصون في مجالي الصحافة والإعلام (3).

ومعلوم أن مثل هذه الدراسات هي ذات فائدة علمية وعملية سواء بالنسبة للمهتمين بالمجال الإعلامي أو بالنسبة للباحثين الاجتماعيين. وهي من جهة أخرى تنير الصحفي بخاصة في متابعة الوضع الاجتماعي والإيديولوجي لجمهوره، وطريقة تفكير قرائه، وآرائهم وأمزجتهم، ويتحقق من مختلف التأثيرات التي يخضعونها لها (4).

تعريفات إجرائية:

يقصد بالكتاب المغاربة الذين شملهم البحث، أعضاء اتحاد كتاب المغرب الذين يمارسون الكتابة في مجالات محددة هي القصة والرواية والمسرح والنقد أو البحث في المجالين الأدبي والفني. وإذا كان الكاتب عادة هو الشخص الذي يكتب ليقراه الآخرون، فهو أيضاً قارئ، ومن هنا أهمية معرفة ماذا يقرأ وكيف ومتى؟ أما القراءة فيمكن تعريفها بأنها (نقطة انطلاق الحركة، ووسيلة الحكم، وعصب الإعلام) (5).

ونلاحظ من خلال الجدول رقم 1 كون الموظفين يميلون إلى قراءة الجرائد والمجلات المتخصصة، ونفس الشيء بالنسبة للأساتذة والصحفيين. وهذه الفئة الأخيرة تعطي الأفضلية في القراءة للمطبوعات الدورية ذات المنحى الإعلامي.

جدول رقم 2: نوع القراءة حسب التخصص

الوظيفة	جرائد	مجلات اخبارية	مجلات متخصصة	قصص	شعر	نقد وابحاث
شعراء	12	5	12	6	13	9
قصاصون وروائيون	8	4	6	9	4	8
نقاد وباحثون	8	5	8	5	5	7
كتاب مسرح	2	2	2	2	2	2
المجموع	30	16	28	20	24	26

أما أساتذة الجامعة فيميلون إلى قراءة الجرائد، يليها النقد والأبحاث. وهذا الأمر يمكن تفسيره بكون أساتذة الجامعة هم الأكثر هوسا بمناقشة الرأي وتطوير البحث والتزود بالجديد من المعلومات والأفكار.

وبالنسبة للمحامين فهم يفضلون قراءة المجلات المتخصصة وأيضا الشعر. ذلك أن المحامين الذين استجوبناهم في هذا البحث وعددهم ثلاثة كلهم شعراء.

أما قلة ما يقرأ من المجلات الإخبارية بالمقارنة مع الجرائد، فقد يعود إلى غلاء سعرها، أو تدني مستوى بعضها. ومسألة ارتفاع السعر وكذا مستوى بعض المجلات الإخبارية المسماة «مهاجرة» كثيرا ما أثير على صفحات الجرائد الوطنية.

ويمكن القول بأن الكتاب كوسيط ثقافي جماهيري يحتل الصدارة لدى الأدباء بدرجة أفضل جدا من الجريدة. فإذا ما دمجنا مجموع الخانات الثلاث التالية: قصص+شعر+نقد وأبحاث، باعتبار هذه الأصناف تصدر غالبا في وسيلة مطبوعة على شكل كتاب، حصلنا على رقم 70 وهو أعلى من الرقم الذي حصلته قراءة الجرائد. وهذا ما يسمح بالقول أن الكتاب يحتل الدرجة الأولى فيما يقرأ الكاتب المغربي.

ويلعب التخصص دوره كعامل شخصي في اختيار نوع ما يقرأه الكاتب من مطبوعات. ويعزز الجدول رقم 2 موقفا معروفا من ميل صاحب كل تخصص نحو ما يلبي حاجاته المعرفية في حقل إبداعي أو علمي معين. فالشعراء يرتاحون إلى قراءة الشعر أكثر من غيرهم، والقصاصون يفضلون قراءة الجاميع القصصية، وهكذا دواليك بالنسبة لبقية التخصصات الأخرى.

على مستوى المتغير الأخير، لا بد من إجلاء المقصود بعبارة (منطقة)، حيث يبرز عدد الكتاب مقابل كل منطقة ليس الرقعة الحضرية استثناء، وإنما يحتوي الرقم أيضا القاطنون بالمدن الصغرى المجاورة. وعلى أي يتعين التنبيه إلى أننا تحاشينا توزيع هذا المتغير، بل نسوقه لمجرد العلم به ليس إلا.

ويبدو من خلال التوزيع الوظيفي أن نسبة كبرى من الكتاب تمارس مهنا ثقافية: (أستاذ، صحفي..)، هذه المهنة يصفها باحثون بكونها تنتمي تقليديا إلى البورجوازية الصغيرة. (7) إنما لماذا استجلاء كل هذه الفروقات، فلأنها تنير جانبا من الجوانب المتصلة بعملية القراءة. فالسن والتعليم والجنس والمركز الاجتماعي والاقتصادي جميعها عوامل تقرر ما يقرأ، وذلك وفقا للدراسات التي أجراها ولبرشرام ودافيد ماينغ هوايت. (8)

نوع القراءة:

جدول رقم 1: نوع القراءة حسب الوظيفة

الوظيفة	جرائد	مجلات اخبارية	مجلات متخصصة	قصص	شعر	نقد وابحاث
موظف أو مستخدم	5	3	5	4	3	4
استاذ	11	7	9	9	9	9
استاذ جامعي	2	2	7	3	6	8
صحفي	4	4	4	3	3	3
محام	2	0	3	1	3	2
المجموع	30	16	28	20	24	26

أتاحت الفرصة هنا للمستجوبين للتأشير على أكثر من نوع واحد من المطبوعات. وتعطي الأرقام إحساسا بأن قراءة الجرائد اختيار مشترك ومفضل بالنسبة لجميع الكتاب بغض النظر عن الوظائف التي يزاولونها. وقد دلت الأبحاث على أن مقدار ما يقرأ من الصحيفة يزداد بزيادة التعليم. كما أن المركز الاقتصادي المرتفع تصاحبه زيادة في قراءة أخبار المسائل العامة وأخبار المجتمع وأخبار الرياضة. (9)

ويأتي في المرتبة الثانية المجلات المتخصصة. وجاءت صيغتها هنا بشكل واسع، ولكن يفهم منها كل مطبوع يركز في أغلب محاوره على تناول موضوع معين ومحدد. ثم يأتي بعد ذلك النقد والأبحاث، فالشعر. وهذا راجع طبعا إلى أن عدد شعراء العينة هو الأعلى مقارنة بالتخصصات الباقية.

وتمارس الأغلبية الساحقة من الكتاب المغاربة الكتابة الإبداعية أو النقدية باللغة العربية، وبالنسبة للعينة التي بين أيدينا وجدنا 2 فقط من بين 33 كاتباً ينتجان نصوصاً بالفرنسية أيضاً إلى جانب اللغة الأم.

جدول رقم 4: لغة الكتابة حسب الوظيفة

الوظيفة	عربية وحدها	فرنسية وحدها	مزوج	المجموع
موظف أو مستخدم	4		1	5
استاذ	13			13
استاذ جامعي	8			8
صحفي	4			4
محام	2		1	3
المجموع	31	-	2	33

وبطبيعة الحال فاختيار العربية كأداة للكتابة قد يرجع إلى تكوين الأديب من جهة، كما يرجع من جهة أخرى إلى الحس الوطني للأديب المغربي، وإلى الشعور بأهمية اللغة الوطنية في تركيز الوعي بالقضايا الوطنية وتحريك تنمية حقيقية. يقول الكاتب المغربي الأستاذ عبد الغني أبو العزم إن اللغة الوطنية والتوعية هما القاعدة الأساسية للتنمية الوطنية، وحسن ضد الاستلاب والتهافت. وأنه لا يمكن تصور تنمية اقتصادية وسياسية شفافه دون تنمية اللغة العربية. (10)

موانع القراءة

يبقى ضيق الوقت العامل الأساسي المانع من القراءة المسترسلة على فترات منتظمة. ويلي ذلك عامل المشاغل. والمشاغل هنا بصيغة عامة لتشمل قضايا شخصية، مهنية، عائلية أو غير ذلك. ونشير إلى أن جواباً واحداً تضمن عبارة (لا شيء) أي بالنسبة للكاتب المذكور، وهو من العاملين في قطاع التعليم، لا شيء يمنعه من القراءة. ولذا أضفنا خانة رابعة لإبراز هذا الجواب النوعي الذي لم تضمه أسئلة الاستبانة. ومع ذلك فإن هذه الحالة (1 من بين 33) تبقى حالة نادرة ومثالية للغاية. غلاء المطبوعات وإن كان هناك في الدرجة الثالثة، يشكل بدوره مانعاً أمام الكاتب المغربي. فأثمان المطبوعات وخاصة منها المجلات الإخبارية والمتخصصة والكتب في ارتفاع مستمر. وميزانية

القراءة لدى الكتاب المغاربة

لغة القراءة والكتابة:

جدول رقم 3: لغة القراءة حسب الوظيفة..

الوظيفة	عربية وحدها	فرنسية وحدها	مزوج	المجموع
موظف أو مستخدم	-	-	5	5
استاذ	8	-	5	13
استاذ جامعي	3	2	3	8
صحفي	2	-	2	4
محام	-	-	3	3
المجموع	13	2	18	33

تطالع أغلبية الكتاب المغاربة باللغتين: العربية والفرنسية. ولكن هناك فئة لا بأس بها (13 من 33) لا تجيد سوى لغة واحدة هي العربية. وأغلبية هؤلاء أساتذة. وقد عثرنا في أجوبة الباحثين على من يتقن لغة أجنبية ثانية (الاسبانية)، كما أن مستجوبين آخرين أضافوا الأمازيغية كلغة يتقنونها. إضافة إلى ذلك لاحظنا أن أستاذين جامعيين يشتغلان بالنقد والبحث، تقتصر مطالعتهما على المكتوب باللغة الفرنسية، علما بأنهما يكتبان مقالاتهما باللغة العربية وليس بالفرنسية. ويظهر من خلال هذه العينة، أن الأدباء «المعربين» (الذين لا يتقنون غير العربية) لا يوجدون إلا في صنف الأساتذة والصحفيين.

اليومية يجوز أن يقرأ كراسات رسمية أو وثائق لها علاقة بوظيفته أي بمقرر الدرس أو بتقنياته.

جدول رقم 6: مدة القراءة اليومية حسب الوظيفة

الوظيفة	أقل من ساعة	ساعة	ساعتان	أكثر	المجموع
موظف أو مستخدم	-	1	2	2	5
استاذ	1	1	3	8	13
استاذ جامعي	-	-	3	5	8
صحفي	1	-	3	-	4
محام	-	1	1	1	3
المجموع	2	3	12	16	33

عموما تزداد مدة القراءة اليومية مع تقدم العمر وخاصة انطلاقا من سن الكهولة وفي سؤالنا لبعض الأدباء تبين أن التقدم في السن يرافقه من جهة نقص في الحركة خارج البيت من قبل الكاتب

جدول رقم 7: مدة القراء حسب السن

الوظيفة	أقل من ساعة	ساعة	ساعتان	أكثر	المجموع
من 30-35	-	-	1	2	3
35-40	-	2	2	3	7
40-45	1	-	6	8	15
45-50	1	1	3	2	7
50-55	-	-	-	1	1
المجموع	2	2	12	16	33

ومن جهة أخرى مزيد من النضج ومزيد من الخلود إلى التأمل والتفكير وبالتالي إلى القراءة.

لكن الغالب أن القراءة تتم حسب الظروف، كما يقول الكاتب المغربي الدكتور عبد الكبير الخطيبي، ويضيف: (قد لا أقرأ طيلة يوم كامل، قد أقرأ ساعة واحدة وقد أقرأ لمدة عشر ساعات في



الكاتب تجرّفها ضرورات العيش حيث لا يكفي المبلغ الزهيد المتبقى لتغطية كافة نفقات القراءة.

جدول رقم 5: موانع القراءة حسب الوظيفة

الوظيفة	ضيق الوقت	مشاغل	غلاء المطبوعات	لا شيء
موظف أو مستخدم	3	2	3	-
استاذ	5	8	6	1
استاذ جامعي	5	5	4	-
صحفي	3	-	2	-
محام	3	3	-	-
المجموع	19	18	15	1

أما على مستوى الوظائف فالأساتذة -مادون الجامعة- يعطون الصدارة للمشاغل كمانع من القراءة، يليها غلاء المطبوعات. بينما زملأؤهم الجامعيون يمنحون الأولوية لضيق الوقت والمشاغل ومثلهم المحامون.

مدة القراءة:

من حيث الزمن يخصص الأدباء للقراءة معدلا يوميا يفوق الساعتين. أي بمعنى آخر أكثر من 14 ساعة أسبوعيا. كما أن هناك عددا لا بأس به من الأدباء يخصصون معدل ساعتين يوميا في الأسبوع للقراءة.

وسواء أكان المعدل اليومي المخصص للقراءة هو ساعتان أو أكثر، فإن الحيز الزمني هنا متقارب بين المجموعتين من جهة، وثانيا وتأسيسا على استقرار الجدول رقم 6 والذي يليه، يمكن الجزم بأن الأدباء يواصلون القراءة يوميا، حتى بالنسبة للقلة القليلة (5 من بين 33) التي تخصص ساعة واحدة أو أقل منها.

وباستثناء الصحفيين الذين يشكون من ضغط الوقت، ومع ذلك يفرّدون ساعتين للقراءة يوميا، فإن الأساتذة يخصصون أكثر من ذلك للقراءة، ربما بسبب الوقت المتوفر لهم، وربما بسبب المتطلبات التدريسية. وبطبيعة الحال فإن نوع ما يقرأ خلال المدة المخصصة للمطالعة لا ينحصر فقط فيما هو مشار إليه في الجدول رقم 2، بل قد يكون أشياء أخرى لا تنتسب إلى الأصناف المذكورة. ونوضح ذلك بمثال ساقه أحد الأساتذة، مفاده أن خلال مدة القراءة

آخر لقضاء حاجيات البيت والأولاد اعتباراً للمسؤوليات العائلية التي يتحملها هؤلاء الكتاب، (فكل المبحوثين لهم أكثر من 30 سنة ونصفهم يتعدى سنه الأربعين).

ثم إن القراءة، كما يقول علي الطهروني: (ليست فعلاً بسيطاً يمر به البصر عبر السطور، بل هي ذلك الفعل الخلاق الذي يقرب الرمز (12). ومادامت فعلاً خلاقاً، ويتطلب مجهوداً لفك رموز الكتابة، فلا يمكن أن تكون على حساب وقت الراحة.

متابعة الإصدارات:

جدول رقم 9: هل تتابع ما يصدر في مجال تخصصك

الوظيفة	بانتظام	دون انتظام	بالصدفة	المجموع
موظف أو مستخدم	3	2	-	5
استاذ	7	6	-	13
استاذ جامعي	7	1	-	8
صحفي	3	1	-	4
محام	2	1	-	3
المجموع	22	11	-	33

تتابع غالبية المستجوبين ما يصدر في مجال تخصصها بشكل منتظم. والتخصص في منظور هذا البحث ليس هو التخصص المهني الوظيفي، وإنما مجال التخصص الكتابي. ونوضح ذلك بالمثال التالي: فالشاعر الذي يشتغل محامياً، لا نقصد هل يتابع ما يصدر من لوائح وقوانين ومساطر، وإنما نقصد هل يتابع ما ينشر في مجال الشعر بوصفه شاعراً.

ويبدو من خلال الجدول أعلاه، أن الأساتذة الجامعيين يمثلون الفئة الأكثر متابعة للإصدارات الجديدة في مجال تخصصها: 7 في مقابل 1. بينما أساتذة ما دون الجامعة نصفهم يتابع بانتظام، ونصفهم تقريباً يتابع في غير انتظام: 7 مقابل 6. كذلك لا يختلف الأمر بالنسبة للموظفين.

ولكن متابعة الإصدارات لا تعني قراءتها. فذلك من باب المستحيلات حسب كثير من المستجوبين. وإنما تعني أن الأدباء المغاربة يحيطون أنفسهم علماً بالمطبوعات الجديدة التي تهم ميدان تخصصهم وحتى غيرها، سواء عن طريق الجرائد والمجلات واللقاءات مع غيرهم من الأدباء أو عن طريق زيارة الأكشاف.

القراءة لدى الكتاب المغاربة

(اليوم). (11)

وقت القراءة:

جدول رقم 8: وقت القراءة اليومية حسب الوظيفة

الوظيفة	ليلاً	عطلة الأسبوع	كل وقت الفراغ
موظف أو مستخدم	3	-	4
استاذ	5	4	13
استاذ جامعي	4	2	7
صحفي	4	3	4
محام	2	2	1
المجموع	18	11	29

مكننا المستجوبين هنا من ذكر أكثر من جواب، وذلك لبيان الأوقات التي يفضلها كل منهم للقراءة. وواضح من الجدول رقم 8 أن جميع المستجوبين على اختلاف وظائفهم يطالعون في كل وقت فارغ، وليس بالضبط في وقت معين بالذات. كما أن هذه المطالعات تتم بالليل أكثر مما تتم بعطلة الأسبوع.

ويمكن القول أن عطلة الأسبوع لا تناسب الكثيرين للقراءة العميقة. ففئة الموظفين من الكتاب المستجوبين لا تطالع خلال عطلة الأسبوع باستثناء الجرائد طبعاً. كما أن قلة فقط من أساتذة الجامعة من تطالع داخل ذات الفترة (2 من بين 8). وأكد ذلك يرجع إلى كون نهاية الأسبوع تخصص في جزء منها للراحة، وفي جزء

الاشتراك:

جدول رقم 10: هل لك اشتراك في جريدة أو مجلة

التخصص	نعم	لا	المجموع
شعراء	11	2	13
قصاصون وروائيون	3	6	9
نقاد أو باحثون	2	7	9
مسرحيون	1	1	2
المجموع	17	16	33

نصف المستجوبين لهم اشتراك في جريدة أو مجلة. وهو عدد لا يمكن الاستهانة به على كل حال. إلا أننا لم نستطع التعرف على نوعية الاشتراك: هل في جريدة بالتحديد أم في مجلة؟ وحسب بعض المستجوبين فإن اشتراكهم في جرائد على الخصوص لا يتم بالشكل التقليدي أي لدى إدارة الجريدة، لأن توصلهم بنسختهم عبر البريد سيكون متأخراً عن يوم صدورها، بل هناك طرق أخرى أي عبر الأكشاك القريبة من المنزل أو بعض المكتبات أو لدى البائع الموزع للجرائد.

أما بالنسبة للمشاركين في المجلات، فالأمر يتعلق هنا بنوعين من الاشتراك: اشتراك مؤدى عنه واشتراك مجاني. وغالباً ما يكون هذا الاشتراك المجاني في مطبوعات تصدر خارج المغرب.

الكلم المقروء:

طرح هنا الاستفسار بصيغة مفتوحة، وقصد معرفة الجرائد أو المجلات المغربية التي يقرأها الكاتب غالباً. ولئن دلت الأجوبة على فهم واضح للسؤال، إلا أنها كانت شديدة التباين في إصابة المراد، وأحياناً جاءت ذات صبغة عامة وفضفاضة من مثل:

- * معظمها
- * كل مفيد
- * المجلات حسب المحتوى
- * الجرائد
- * الجميع
- * الجرائد الحزبية الثلاث
- * الجرائد الوطنية
- * كل المجلات الأدبية
- * المجلات الفكرية والأدبي

جدول رقم 11: عدد الجرائد أو المجلات المغربية التي تقرأها غالباً خلال الأسبوع

الوظيفة	كل الجرائد الوطنية	بعض الجرائد الوطنية أو بعض المجلات	جريدة واحدة	الملاحق الثقافية	المجموع
موظف أو مستخدم	-	5	-	-	5
استاذ	4	7	-	2	13
استاذ جامعي	-	6	2	-	8
صحفي	-	3	-	1	4
محام	-	2	1	-	3
المجموع	4	23	3	3	33

وبالنسبة لعدد من الإجابات الأخرى، فقد أفصحت عن أسماء جرائد أو مجلات معينة. بينما مستجوب واحد ذكر اسم مجلة غير مغربية (الفكر المعاصر) إلى جانب أخرى. وبطبيعة الحال فالأمر لا يعود إلا أن يكون سهواً من جانبه أثناء الإجابة.

وأمام هذا الخليط من الأجوبة، فقد سلطنا طريق تجميعها في أربعة أصناف بارزة، حتى تساعد الفهم وتناسب التأويل. إذ لا يخفى على أي باحث أن تصنيف الأجوبة المفتوحة، والتي تتباين تبايناً لا حصر له، هو أصعب من تصنيف الأجوبة على الأسئلة المغلقة أو الأسئلة ذات الإجابات المحددة. (13)

ويظهر بصفة جلية من الجدول رقم 11 أن غالبية الكتاب المغربية (23 كاتباً) لا تكتفي بقراءة مطبوعة واحدة. كما لا يمكنهم لأسباب مادية وعملية معروفة الإطلاع على جميع ما ينشر، وإنما هم غالباً ما يقرأون أكثر من جريدة وطنية أو أكثر من مجلة. وهذا باستثناء 4 أساتذة - وهو عدد قليل - يطلعون غالباً على كل الجرائد الوطنية.

والحقيقة أن هذا الجواب قمين برد فعل فوري لعدم دقته ووضوحه. فعبارة (كل الجرائد الوطنية) لا يدري القارئ أو المستمع أن كان الأمر يتعلق بالجرائد الوطنية باللغتين العربية والفرنسية دون استثناء، أم بأفضل الجرائد الوطنية من حيث الحضور في الساحة الثقافية، أم ماذا؟

كما أن هناك قلة من المستجوبين (3) تكتفي بقراءة جريدة واحدة. وليس معنى ذلك - كما قد يتبادر إلى ذهن البعض - أن الكاتب لا يطالع سوى جريدة واحدة خلال أسبوع كامل، بل المقصود هو إخلاصه لجريدته المفضلة يقرأها كلما صدرت سواء أكانت يومية أو أسبوعية.



القراءة لدى الكتاب المغاربة

- 2- أنظر نص العرض الذي قدمه الأستاذ أحمد زيادي، بالملحق الثقافي لجريدة العلم بتاريخ 13 نابر 1990.
- 3- أقصد الدكتور زكي الجابر والأستاذ محمد عز الدين المنصوري من المعهد العالي للصحافة بالرباط.
- 4- فرانس فابر، الصحافة نظرية وممارسة، ت: نوال حنبلي (برلين: المعهد الدولي للصحافة، 1984)
- 5- ليونيل بلنجير، طرق القراءة، سلسلة ماذا أعرف (بالفرنسية) (باريس: المنشورات الجامعية، 1985).
- 6- عبد الحميد عقار، شهادة عن القراءة وأزماتها، (الاتحاد الاشتراكي بتاريخ 24 نونبر 1990).
- 7- محمد ساري، (البحث عن النقد الأدبي الجديد، (بيروت: دار الحداثة، 1984) ص: 7
- 8- وريفرز، بترسون، ج. جنسن، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ت: د. إبراهيم الإمام (القاهرة: دار المعرفة، 1975) ص: 337.
- 9- المرجع السابق، ص: 337.
- 10- أنظر تغطية حول: ندوة الثقافة والمجتمع في المغرب العربي، (مجلة الوحدة، يوليو-غشت 1990) ص: 134
- 11- عبد الكبير الخطيبي في حوار مع (العلم) بتاريخ 25 فبراير 1990، ص: 4
- 12- علي الطهروني، النص المكتوب والنص المقروء، (مجلة الحياة الثقافية: تونس، عدد 58-1990) ص: 59
- 13- د. سعاد الشرقاوي، علم الاجتماع السياسي (القاهرة: دار النهضة العربية، 1977) ص: 102
- 14- أنظر (العلم) بتاريخ 28 يناير 1991.

ويكتفي 3 مستجوبين بقراءة الملاحق الثقافية الصادرة عن الجريدة المغربية أيام السبت والأحد. وبالنسبة لهؤلاء الثلاثة، فيفهم من جوابهم بطبيعة الحال أنهم إما لا يهتمون خارج مجال الثقافة، بالقضايا التي تشغل بال الصحافة، وإما أن اهتمامهم بالقضايا العامة يقع دون مستوى اهتمامهم بالثقافة وشؤونها. وقد ذكرت عدة أجوبة أسماء بعض الجرائد والمجلات المغربية وهي: العلم، والاتحاد الاشتراكي، البيان، أنوال، L OPIN، ION، آفاق، عيون، أبحاث، رصيف، نجمة، والوحدة. وهذه الأخيرة بالرغم من وجود مكتبها في الرباط إلا أنها لا تعد مطبوعة مغربية. وورودها في بعض الاستبانات جاء من قبيل الخطأ وعدم الانتباه.

خاتمة

يمكن القول في الأخير بأن الدراسات الميدانية في مجال القراءة يجب أن تتعدد لإحداث تراكم نستطيع من ورائه معرفة ما يجري في حقل الانتاج الثقافي والإعلامي وكيفية التعامل معه. وتقديرا لأهمية القراءة فقد أوصى المثقفون المغاربة سواء في المناظرة الوطنية الأولى للثقافة المغربية في 1986 أو في المناظرة الثانية لسنة 1990 بانجاز الدراسات في هذا الباب. وانطلاقا من نفس الإحساس بخطورة القراءة، دعا الدكتور المهدي المنجرة، في مقال خصصه للحديث عن العدوان على الشعب العراقي، دعا المثقفين الشرفاء - كما نعتهم - للقراءة أكثر والكتابة أكثر مساهمة منهم في التوعية (14). فبدون القراءة والاقبال عليها وتشجيعها لا يمكن للوعي الصحيح أن يستقيم. □

- 1- أنظر مجلة (دراسات عربية) البيروتية عدد 3-1988، وجريدة (أنوال) المغربية بتاريخ 25 دجنبر 1986، وجريدة (L OPINION) بتاريخ 16 يونيو 1987.



إطلالة على ثقافة البيروسترويك

أحمد الخمسي

حفيدة وزير الخارجية في أول حكومة
بلشفية بعد أكتوبر 1917.

وقبل الرجوع إلى نموذج من الفكر
السياسي لبوريس تشيتشيرين الليبرالي،
نتوقف عند ثلة من المفكرين ورجال
السياسة الذين اعتمدتهم المجلة لتشكيل
لوحة الفكر الليبرالي وإلى جانبه نخبة من
المفكرين اليساريين من خارج روسيا.

فمن بين ثلاثين مفكراً : نجد 50٪ منهم
من الروس. ومن بين هؤلاء : باستثناء
إثنين عاشا في القرن 19 (تشيتشيرين
وفيرودوف) نجد باقية الروس مكونة من
الليبراليين الذين عاشوا في المنفى، إما منذ
بداية النظام السوفيياتي بل وقبله، مثل
الليبرالي الملكي، إيفان إيلين Ivan Iline
(1883 / 1954) والليبرالي المسيحي غيورغي
فيدوتوف Guorgui Fedotov (1951 /
1886)، وأما قادة الحزب الدستوري
الديمقراطي المعروف بـ «الكاديت»، حزب
الديمقراطيين، أي الحزب الذي عملت
الإدارة القيصرية على تكوينه في ديسمبر
1905 بعد الأيام الدامية... من بين هؤلاء
المفكرين الذين ملأوا ركن «المخطوطات لا
تحترق» في مجلة «الأزمنة الحديثة»، ثلاثة
من زعماء الكاديت : منهم اثنان حظيا في
زمن لينين بحظ وافر من البوليميك بسبب
موقعهما في الصراع السياسي، قبل وبعد
ثورة فبراير 1917 :

الأول : بيوتر ستروفه (1870 / 1944)
أحد مؤسسي حزب لينين سنة 1989، والذي
أصبح رمزاً «للماركسية الشرعية» ثم إطاراً
ومفكراً في حزب الكاديت.

الثاني : بافيل ميليوكوف 1859 / 1920
وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة بعد
فبراير 1917 وسكرتير اللجنة المركزية في
حزب الكاديت.
وفي نفس السلسلة نجد ركن

في أواخر سنة 1989، أصبحت الأسبوعية السوفياتية
«الأزمنة الحديثة»، تتأثر على إدراج ركن «المخطوطات لا
تحترق» في كل عدد من أعدادها، مصررة على إعطاء عنوان «الفكر
السياسي للقرن 20».

كانت البداية مع المنشق الراحل : أندري زاخاروف. وذلك
بنشر مخطوط، باعتباره آخر ما أنجزه قبيل وفاته. وهو عبارة
عن مسودة لمشروع دستور مكونة من 45 مادة. بعد ذلك : ثم نشر
تصوره المستقبلي للعالم في منتصف القرن المقبل، ثم آرائه حول
التعايش السلمي ومستقبل التقدم والحرية الأدبية.

الليبرالي في روسيا تحت الحكم القيصري
خلال القرن 19. وذلك بالرجوع إلى كتاب
«روسيا عشية القرن 20»، لمؤلفه بوريس
تشيتشيرين Boris Tchitcherine (1904 /
1828)، وهو من أسرة روسية أرستقراطية،
عرف بدعوته إلى نظام دستوري على النمط
الغربي، وعندما أصدر كتابه المذكور، منع
من النشر في روسيا. فيما بعد أصبح

خلال سنة 1990، رجع المشرف
على الركن، فاليري زوركين،
وهو دكتور في الحقوق، إلى
القرن 19، بالرغم من إبقائه على
الكادر الصغير في أعلى الصفحة الأولى من
الركن : «الفكر السياسي في القرن 20».
ألقي الضوء على أحد أعلام الفكر



روسيا عشية القرن 20

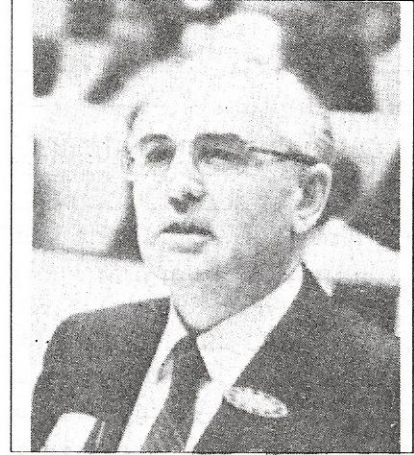
بقلم : بوريس تشيتشيرين

«يبدو أمام كل ملاحظ ذكي، بصدد الحياة الروسية المعاصرة، أنه من الواضح في كون الشر الرئيسي، الذي يفتت جسمنا، يتجسد في الظلم اللامحدود، الذي يسود في كل مكان، ويتجسد في الكذب الذي يغرق المجتمع الروسي من أعلى إلى أسفل. وجذر هذا وذلك يوجد في الأوراق البيروقراطية، والتي تفضل قمع القوات المستقلة، خصوصاً في جو انعدام المقاومة، فتسيطر على السلطات شيئاً فشيئاً. وتفسد بالتالي الحياة الروسية بكاملها.

وبالتالي : عاجلاً أو آجلاً، التناقض بين القديم والجديد، سيتجلى بالضرورة : فاما أن تستحق الإدارة البيروقراطية القوى الاجتماعية المستقلة، واما أن تستطيع هذه القوى على تغيير الوسائل والعادات المتبعة من طرف الإدارة البيروقراطية. ومن الملاحظ، أن الحركة العدمية وضعت بين أيدي الإدارة البيروقراطية أسلحة لم تكن لديها، استعملتها للقضاء على القوى الاجتماعية المختلفة ولتشويه المؤسسات

وهذا الشر قديم، وأعتقد أننا وجدنا مخرجاً للآفات منه، بحيث نرى ذلك في البعد الكبير للإصلاحات المحققة على يد (الملك الروسي) إسكندر الثاني، ذلك البعد الذي يتخلص في كون الإصلاحات رتبت أوضاع الدولة الروسية على أسس جديدة : الحرية والقانون، ومكنت القوى الاجتماعية من الوقوف على رجليها. إلا أن هذه التحولات لم تحتضن مظاهر حياة الدولة بكاملها.

ثقافة البيريسترويك



غورباتشوف

«المخطوطات لا تحترق»، يعرض أمامنا مجموعة من المفكرين الأجانب : فقد عرض الركن ثلاثة مفكرين ألمان : روزا لوكمبورغ (البولونية في الأصل) وكاوتسكي وكارل ياسبيرز، كما عرض نصوص لمفكرين اثنين من إنجلترا: المفكر الاقتصادي الكبير جون كينز والفيلسوف المعاصر: برتراند راسل.

وإلى جانب هؤلاء : التفت الركن إلى غرامشي، وإلى هوشي منه. وفي فرصة مقبلة سنعمل على عرض وتحليل النصوص المشار إلى البعض من المفكرين المذكورين في هذا التقديم. وإلى ذلك الحين سنترك القارئ أمام نموذج من النصوص المعروضة ضمن الثقافة السياسية البيريسترويك.

التي ظهرت ضمن الإصلاحات المذكورة أعلاه. ومن الواضح أن الرجوع إلى الحالة العادية للأوضاع غير ممكن ماعدا بتوقيف ما يسببه سلوك الإدارة من تظلمات. في نفس الوقت، لا يمكن تحجيم نفوذ الإدارة البيروقراطية، دون المس بمحتوى السلطة التي تستعمل تلك الإدارة كأداة، أي دون المس بالسلطة اللامحدودة الذي يتمتع بها القيصر.

وطالما بقيت هذه السلطات على عواهنها، فإن أي شطط يصدر من المركز تنتج عنه موجة من الشطط الموالي في المستويات الإدارية الدنيا. كما أن الوضع القانوني لا يمكن أن يتقوى حيث يتوقف كل شيء على رغبة شخص، وحيث يمكن لكل شخص يملك السلطة أن يتحصن فوق مقتضيات القانون، مستظلا بالدفاع عن القيصر.

وبدون شك، سنسمع صيحات ضد وجهة النظر هذه، ترتفع من بين صفوف أنصار الحكم المطلق... وطبعاً معتمدين في ذلك على الوحدة الصوفية بين القيصر والشعب، ومدعين خاصية موجودة في التجربة التاريخية الروسية وحدها، بينما نعثر على أمثلة شبيهة، عديدة في تاريخ أوروبا الغربية.

ويجب القول بأنه من الضروري ترك هذا النوع من الكلام لصيغ البلاغات الرسمية ولتقارير الموظفين ولقالات نوع معين من الصحف. أما المعالجة الجديدة لهذه المسألة فتتوقف على المحتوى السياسي. إن المخيلة التي تتصور نفس الشكل من الحكم، صالحاً للشعب مستعبد وصالحاً في نفس الوقت لنمط حياة مدنية قائمة على الحرية، لتعاني من الغموض السياسي... لأنه في الوقت الذي تعيش الفئات الدنيا من السكان في وضعية الاستعباد، لا يمكن أن توجد فوقها مؤسسات أخرى في الدولة غير الارستقراطية

والحكم المطلق.

ولكن، بما أن القضاء على القنانة (في روسيا سنة 1861) قد تم في البنات التحتية، فلا بد أن يتم القضاء عليه أيضاً في أعلى الدولة. في نفس الآن، بالنسبة لحياة الشعب، مهام أخرى تفرض نفسها، بحيث تعرض الحرية قواعد عملها. ولنتخيل أن إرادة واحدة، لشخص ما، والذي لا يكون في بعض الأحيان مهياً لذلك، أو الذي لا يملك القدرات الكبيرة، والتي لا تحضر إلا استثناء، بل ولا التجربة الضرورية لتسيير شؤون الدولة، لتتدخل أن هذا الشخص، سيحكم ملايين من الأشخاص، بينهم علاقات معقدة، هكذا تظهر بكل جلاء ووضوح الوضعية الطائشة للقضية. وهكذا تحولت السلطة المطلقة لقيصرة روسيا إلى لعبة تتحقق بواسطتها المنافع الشخصية المختلفة، حتى الأكثر بعداً من بينها عن المنطق. هذه السلطة التي لا يمكن أن تخرج من المأزق إلا بإدخال التغييرات الضرورية على نفسها هي، بعدما ساهمت في إحداث تغييرات متعددة في البلاد، بعدما جلبت إمكانية الحرية للجميع، ووضعت المجتمع على رجليه، من واجب هذه السلطة، أن تتوج عملها الكبير بإحداث تغيير على حدود دائرتها، هي بالذات، حتى

تنسجم وضعيتها مع دينامية الحرية التي أقامتها. وهذه هي مهمتها الكبرى الآن. وبهذه الطريقة فقط، تستطيع أن تنتزع نفسها من الوسط غير الملائم الذي يحيط بها، وبهذه الطريقة وحدها يمكن تأسيس وضع قانوني وتحجيم الشطط الذي يضغط من جميع الجهات.

هل يصح أن نأمل في حدوث مثل هذا التغيير في المستقبل القريب؟ يجب الاعتراف أن حظوظ ذلك ضعيفة.

ولنتخيل مرة أخرى، أن القيصر الروسي، من ذاته، وبكامل إرادته، وبروح العزة النبيلة فيه، يقدم على الحد من سلطته، سنكون في هذه الحالة جاهلين بالطبيعة البشرية. بالتأكيد سيحس بالثقل الكبير عليه، لكن، وبالرغم من ذلك، فإن للسلطة جاذبيتها، إلى درجة تحجب عنها جميع المساوي، وإلى جانب هذه الجاذبية، يضاف تأثير أولئك الذين يحيطون به والذين ترتبط مصالحهم الشخصية بالتشبث بالسلطة في شكلها القائم، أما بالنسبة للذرائع التي يمكن استعمالها للاحتفاظ بالشكل القديم للسلطة، فهي دائماً «موجودة» فهناك «إحساس الشعب» و«الخصوصية التاريخية» و«مصلحة الوطن» والخوف من «تحلل مؤسسات الدولة»...

عندنا في روسيا: كارثة خارجية من الممكن جداً أن تسهم في تسريع مسلسل الوعي الاجتماعي ويمكن لهذه الكارثة أن تقع بكيفية مفاجئة. وهناك الكثير من الذرائع، لوقوع اصطدامات في مناخ الضغط الحاصل بأوروبا. فالقوى العالمية تتواجه فيما بينها، مدمجة بالأسلحة، بحيث تصبح أصغر شرارة قادرة على إشعال حريق حربي مهول. وروسيا من جهتها، عليها أن توظف في نفسها انطلاقة روح



ثقافة البيروستروكا

مكابدون في شارع ضيق

حسن بحراوي

كم هو موجه وجارح للمرء أن يتذكرك يا بغداد... أن يستعيد
أصبوحاتك المضيئة بالندى البابلوي ويستطيب أريج أماسيك
الرغيدة... ترى كيف الحال والمآل، يا أم المدائن، والجو حولك
مشحون بشجر الخيانة لا يزال ورائحة البارود الغاشم تعكر
أفكك الرحيب...؟ هي ذي بضع كلمات، على سبيل التذكار
والتحية، لك وللعزيز جبرا إبراهيم جبرا الذي كان وراء
كتابتها.

1

كنا ثلاثة، عامر فتوحي وفاروق يوسف وأنا (*). يشملنا هدير السيارة الديزالي
التي تنهب الإسفلت الملتهب في الطريق إلى بيته بالنصور... ونتشاغل عن الحر
الخانق بما يخطر على أذهاننا من لغو الصيف... عامر بانتقاد المكيف العطلان
(آخر خرابة!) لسيارة فاروق، وأنا بالتشكي الأزلي من الصهد الذي يخنق
الأنفاس ويجعل المسام تتفقد عرقا لا ينقطع ويترك الواحد لا يعرف ما يفعله بنفسه.

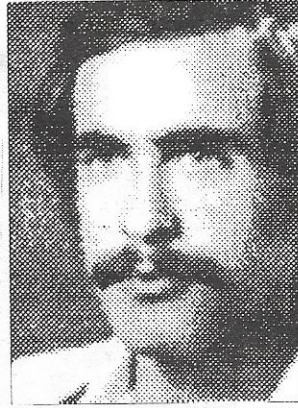
— هو الآن بانتظارنا دون شك، يقول فاروق دون أن يلتفت، فقد أعلمته هذا الصباح من
المكتب برغبتك في زيارته..
ثم يعود بعد ذلك ليواصل السياقة باتزان رهيب.. فأقول حينئذ مع نفسي، ونحن نعبر

شعبية، وهذا غير ممكن سوى بتغيير شامل في السياسة الداخلية بكاملها. ومن الواجب أن يستدعي الشعب الروسي إلى حياة جديدة بتأكيد مبادئ الحرية والقانون في نفسه. أما السلطات المطلقة، التي تشكل المصدر لكل شطط، فيجب أن تترك المكان لنظام دستوري مؤسس على القانون، هل سنرى استيقاظ هذه القابلية في الشعب الروسي، في وعيه؟ هل سيتحقق هذا الوعي عن طريق التطور الداخلي الحق، أم سيأتي منجرفا مع شلالات الدم وبثمن يساوي ضياع أجيال عديدة؟ المستقبل كفيل بتوضيح ذلك. ويمكن أن يتوفر لدينا رجل دولة يتفهم مهام العصر وينطلق بروسيا على السكة المتجهة في خط التاريخ. في جميع الأحوال، لم يعد من الملائم البقاء في وضع السلطات المطلقة التي تشكل الطاقات الكامنة في الشعب. ومن أجل أن تتطلق روسيا نحو المستقبل، يبقى من الضروري تعويض الشطط بسلطة مقيدة بالقانون ومعززة بالمؤسسات المستقلة، كما أنه من الضروري أن تصبح الحرية المدنية مدعمة بالحرية السياسية. عاجلا أم آجلا، بطريقة أو بأخرى، سيحصل هذا التعزيز وهذا الدعم، لأنه يستند إلى ضرورة الأشياء. وقوة الأحداث ستقود بكل تأكيد نحو هذا المخرج. فهنا تكمن مهمة القرن (20) □

ترجمة: أحمد الخمسي



جبرا ابراهيم جبرا



عامر فتوحى

بمقدورهم الانتظار طويلا على قارعة طريق ملتهب وفي حر بغداد الذي يجثم على الصدور ويجعل البصر ينخطف... لكن ها هوذا جبرا يهل من المدخل ببذلة القטיפيعة البنية اللون وقامته الفارحة والبايب الأبنوسي الذي لا يفارقه: هللو، عيني..

وحالما نجلس تكون الحفيدة (ديما) قد عادت إلينا، ونحن في الصالة، لتوزع علينا، واحدا، واحدا، نسخا من كتاب جبرا الاخير، وهو عبارة عن ترجمة لحكايات لا فونتين، كان قد قدمه بإهداء لها فأصبحت، كما شرح لنا، تعتبره كتابها الخاص وتوزعه على من تشاء من الزوار حتى دون أخذ مشورته.. وهو يرى في هذا الأمر شيئا رائعا ومسليا من قارئته الصغيرة تلك.. ولكنه لا يزال حائرا في إلحاح حفدته الآخرين الذين أخذ عددهم يتزايد وكلهم يطالبون بأن يكون لهم كتابهم الخاص مثل ذلك الذي أهدها الجد الكاتب إلى «الحبيبة أبدا، ديما».

بعد لحظات ستأتي صاحبة البيت بالحلوى والعجائن والإبتسامة المرحبة.. تجلس السيدة لميعة، رفيقة جبرا وملهمته، وهي مجللة بالسنين وأمجاد العيش في ظل كاتب عظيم وفنان أصيل.. وأذكر لحظتئذ كيف كانت عينا جبرا تلتهم بوميض غريب وهو يحدثنا عنها ذات ليلة خريفية في فندق بلير.. يجمعهما حب عنيف لا فكاك منه ويشهر جبرا إسلامه لكي يتزوج منها ويعيش معا حياة عاصفة بين أصبوحات كامبريدج الآسيانية، يوم كان يبدأ حياته الجامعية بكفاف رجل شب عن الطوق قبل الأوان.. وظهيرات بغداد الدامية إبان سنوات الجمر العراقية في أواخر الخمسينات ثم وهو قد حفر إسمه عميقا في جسد الابداع العربي كشاعر وروائي ومترجم ومؤرخ للفنون وهلم جرا... يسألنا جبرا عما نشرب فتظل من عيوننا حيرة بلهاء ويرين

قرب معرض بغداد الدولي: أي موعد عجيب، في هذه الظهيرة اللاهبة، لزيارة الروائي الفلسطيني الكبير، نزيل بغداد، جبرا ابراهيم جبرا؟

توقفت السيارة بعنف عند الضوء الأحمر وسألني عامر إن كنت قد قمت بزيارة للمعرض الذي بدا مدخله الرئيسي في مواجهتنا تماما فأجبتة محركا رأسي ذات اليمين وذات الشمال بينما ظل بصري معلقا يتأمل في شعار المعرض الذي يتوج باب المدخل المقوس... وعلي عادتي التي لا شفاء لي منها أسأله عن كون الفنان الذي صمم هذا الشعار البديع فيجبيني عامر على الفور، وبنبرة العارف الواثق مما يقدمه، بأنه الفنان العراقي الراحل جواد سليم...

وفجأة ينتفض فاروق في مقعد القيادة على مسمع الاسم الأخير ويلتفت إلى قائلا وقد تغضن جببته بحبات العرق الساخن: لا تثق في ما يقوله لك هذا الولد الصائع.. هذا الشعار يا سيدي قد صممه الفنان عيسى حنا... والرجل لا يزال حيا ويمكنك حتى أن تسأله بنفسك إن شئت ذلك...

وكما توقعت اعترض عامر، وهو الناقد التشكيلي الضليع، على مزاعم مواطنه وصديقه اللودود.. وراح يحاجج بمعلومات ويستظهر بوقائع وفاروق يرمقه بنظرة مخاتلة تزيد من إصراره وتلهب قريحته على الاستدلال والاقناع..

وإذ كنا في الطريق إلى منزل الاستاذ جبرا، وهو أمين رابطة النقاد التشكيليين وأفضل من يحكم في مثل هذا النزاع الحار الذي تشهده ظهيرتنا القاطنة، فقد حسم عامر الأمر على نحو لم يكن أحد منا يتوقعه بالرغم من بداهته وسهولة الاهتداء إليه. وأبدى الاثنان حماسا منقطع النظير للفكرة واقترح عامر على فاروق، الذي بدا مستغرقا في سياقته البغدادية حد الاندماج، أن يتراهنا على الاسم الصحيح.

وكان أن ازدادت حرارة السيارة من الجدل والشوشرة التي قامت، وتضاعف الهرج والمرج عند بدء التداول بشأن قيمة الرهان، وهل يكون نقدا أم عينا؟ وظللت أثناء كل ذلك أحاول عبثا تشغيل مكيف السيارة الذي لم يعد يكيف شيئا...

2

تفتح لنا الباب الصبية الجميلة (ديما)، حفيدة جبرا، وتسارع لإخبار (جدو) بمقدم ضيوف عديمي الصبر حتما لانه ليس

صيادون في شارع ضيق



تعلم صامت على الجو داخل صالة الاستقبال فيفصل هو في الأمر داعيا إيانا مشاركته فيما يشربه: قهوة بالثلج. يا للشراب السائغ الذي لم أذقه في حياتي... قهوة سوداء حقيقية بالثلج... شيء لا يصدق... توضع قطع ثلجية صغيرة في طاسة القهوة التي ستفقد حرارتها تدريجيا وتحول إلى مشروب رائق عندما ترشف منه رشفة أو رشفتين..

يتشعب الكلام عن حر بغداد الذي جاء ميكرا هذا العام، على غير عادته، فيما تكون أجسادنا المعروقة قد أخذت تعتاد على برودة المكان، ونستمع إلى الرجل في حديث، يعرف، بحضور بديته وتألقه، كيف يجعله طليا وممتعا حتى الثمالة.. وجبرا، في ذلك، لا ينسى «فلسطين» أبدا.. تظل ثاوية في السويداء من قلبه.. مسافرة في خلاياه مثل إكسبير الحياة.. في كل زاوية من عالمه فلذة منها.. كاوية ومائلة كالصليب.. في الصالة لوحات زيتية رسمتها ريشة جبرا في الأربعينات تذكارا لقرينته بالجليل حيث مراتع الطفولة وموئل الاجداد.. نساء ملفعات ببياض طهراني.. وأشجار سرو متهامسة على طريق يمضي منفردا تحت المغيب.. ثم هناك في الزاوية.. قمر فلسطيني صغير ينهض بين التلال في زرقه

لازوردية تطلب الابصار.. وأتساءل مع نفسي فيما يشبه الهذيان: أية رومانسية حاملة وأي خيال مجنح هذا الذي كان يأهل صورة فلسطين في ذهن جبرا الشاب؟.. أهى محض صدفة أرضية أن يتوقف جبرا عن الرسم بعد شروعه في كتابة رواية «السفينة»، أو اسط الستينات، ثم يكون قد انقطع عن إمساك الريشة نهائيا بعد نكسة الخامس من يونيو 67؟

ويسألني جبرا في إحدى تلك اللحظات المنفلتة عن حال عبد القادر، نزيل كندا سابقا (ويضحك عاليا) وعن حميدو سي محمد الذي افتتن بقراءة «يومه الصعب»... وبينما نواصل احتساء القهوة التركية المثلجة وقضم وقطع (المن والسلوى) يتذكر جبرا كعب الغزال الذي أهده له الشباب في تطوان ويظل يصف باستعجاب شكله ومذاقه الذي لا يضاهي..

ويصمت جبرا قليلا ريثما يعيئ غليونه بالتبغ الذي يدعكه بين أصابعه حتى يلين ثم يودعه في الفوهة الأبنوسية المفحمة.. ولا يعود يسمع سوى أزيز المكيف الذي يجعل جلستنا بردا وسلاما.. ولا أدري أي خاطر شيطاني راود عامرا في هذه اللحظة حملته على أن يعرض على الأستاذ ما كان من أمر رهانه مع فاروق، ونحن في الطريق، حول مصمم شعار معرض بغداد..

يبتسم جبرا بوداعة للرهان المحير ويستغرق في تأمل عميق بينما تنجبه أصابعه إلى ولاعة مرمرية على هيئة برج بابل صغير كانت موضوعة على المائدة طيلة الوقت دون أن أفطن إلى حقيقتها.. يوقد بنارها الزرقاء تبغة فترتفع في الفضاء كوشة من الدخان تتلاشى تدريجيا خلف أسجاف الستائر السمكية التي تحجب ضوء الظهيرة..

ودون أن ينبس بكلمة في الموضوع يأخذ جبرا جهاز الهاتف ويتفحص في مفكرته الخاصة ثم وهو يركب رقما.. هلو أبو خلدون.. كيف حالك.. زين.. الله يسعدك.. عندي هنا جماعة نقاد تشكيليون اختلفوا في مصمم شعار معرض بغداد الدولي.. هم جاؤوا يسألوني وأنا ما عدت متذكر أخي.. قلنا نبدد الشك باليقين.. ألو أبو خلدون.. سامعني..

وينصت جبرا للفنان المهيب عيسى حنا من وراء الخطوط.. ويتبادل الرجلان عبارات وتواريخ وأسماء أصبح معظمها في ذمة التاريخ.. ثم يلتفت جبرا، وهو يودع مخاطبه، ليختبر علامة الظفر تعلقو محيا المتراهنين قبل أن يخاطبهما وهو يعيد السماع إلى مكنمها: ليطمئن خاطركما، انت وهو، فصاحباكما شاركا معا في وضع الشعار.. صممه عيسى حنا أيام عبد السلام عارف سنة 59 ثم أضاف له جواد سليم الاطار والاكسسوار بعد ذلك، في بداية الستينات.

نضح جميعا بضحك متواقت متصل لا يتوقف.. ويمد فاروق لسانه الساخر لعامر الذي بدا مبهورا وغير مصدق فقد قلب له الرهان ظهرا المجن... فيا للخسارة.. يطيب جبرا خاطره ببعض

الصنعة والإغراب

علي بنساعود

«أبصار خفيضة» عنوان آخر عمل روائي صدر للكاتب المغربي

المفردس: «الطاهر بنجلون» مطلع هذا العام (1991) وهو عمل

يغطي 300 صفحة تقريبا من القطع المتوسط، موزعة على مفتتح

ومختتم وسبعة وعشرين فصلا مرقما.

وقراءة هذا النص تؤكد شيئين أساسيين هما: أن الطاهر بن جلون

صانع روائي ماهر ومتمكن من خبايا صنعته وأن من شبَّ على

شيء شاب عليه، وماشب عليه ابن جلون هو رؤية واقعه رؤية

إغرابية تراعي مقتضيات السوق وطبيعة المتلقي وتلهث وراءه

بغية شدة واستقطابه.

لمقتضيات قانون السببية أو التسلسل الزمني، حيث هناك التقديم والتأخير والحذف وتداخل الأزمنة... وغيرها، لذلك فالزمن في تناميهِ ليس طوليا.

شيء آخر يسترعي الانتباه، ويرتبط بالأول، هو تعدد الساردين، لأنه، إلى جانب الراعية - الساردة، يوجد ساردون آخرون أمثال: سارد المفتتح والمختتم وراضية وزينة والشيخين... ورغم هذا التعدد الشكلي للساردين نلاحظ أن الراعية

وهكذا فأول ما يسترعي الانتباه

في هذا النص هو غزارة مادته

الحكاية لأنه إضافة إلى تقديمه

قصة محورية هي قصة الراعية،

يقدم قصصا أخرى كثيرة منها: القصة التي

تتخيلها الراعية نفسها والتي عنونتها بـ:

«نظرة الأصم» وقصة زينة ومغامرات

الشيخين وقصة العمة سليمة... وهذه

القصص جميعها يتم استيعابها من قبل

القصة المحورية عبر تقنية التضمين،

وأحداثها في مجملها لا يخضع تقديمها



الكلمات يضاحكه بها: فما ضاع حق وراءه طالب يقول له..

3

قبل حلول الظلام بلحظات تغادر جبرا وقد بدأت نسيجات ترعرش أوراق الشجر الواقف باتساق على طول شارع أبي نواس فيسمع لها حفيف اليف كالهمس... تمرق بضع سيارات مسرعة نحو الجسر المعلق... وتنحرف أخريات باتجاه شارع الرشيد الأهل بالمشارب ودكاكين الأيس كريم... تكون آخر خيوط الشمس ذات الألوان المعدنية قد أشرفت على الرحيل... وأستطيع أن ألمح في البعد خيالات بشرية تجوب الرصيف النهري لدجلة وتنحدر في ثناياه غائصة في طية اللزج دون كلل...

شيئا فشيئا، ومن خلل الغبش الذي بدأ يرين على الضفاف، بدت هامات الصيادين مقوسة منحنية تتربص بحيتان دجلة.. يظلمون زيراودون هلبشبالفسحة يصنعونها من أسياف قطب الأهوار.. يمدون الواحدة منها على اليم طولا وعرضا ويحكمون شدها بمهارة مورثة من زمن سحيق.. تهلل أصواتهم عند دنو لحظة السحب فيتوزعون اذرعوايادي تلملم اطراف الشباك وتوثق حبالها بهمة وحماس.. يزداد التهليل مع ارتفاع ايقاع السحب... ويهب لحظتها نسيم رطب ينعش السواعد العاملة ويوقظ في مخيلتي ذكرى غامضة عن صيادين آخرين.. بلا ضفاف معلومة... يمحرون العباب صوب مرافئ قصية من هذا الزمن العربي الممدد كالنعش... □

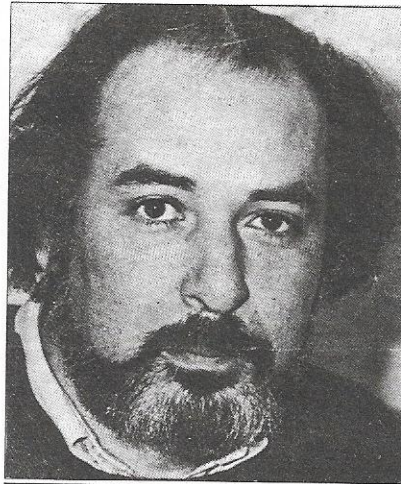
هوامش

العنوان مأخوذ من رواية جبرا ابراهيم جبرا المعروفة.

(*) عامر فتوح: فنان وناقد تشكيلي فاروق يوسف: شاعر وناقد تشكيلي.



الصنعة والاغراب



بنجلون

تظل المهيمنة على وظيفة السرد والمؤطرة لباقي التدخلات.

نفس الشيء بالنسبة للشخصيات، فهي أيضا متعددة لكنها لا تكتسب أهميتها إلا من خلال علاقتها بالشخصية المحورية (الراعية) وبذلك فهي مجرد شخصيات مساعدة تكمن وظيفتها في تهئ الجو وتحفيز الشخصية المحورية على التحرك والفعل... أما الفضاء فنلاحظ أن هناك فضاءين: أحدهما جنوبي - شرقي ويتمثل في الجنوب المغربي (نواحي مدينة أكادير) والآخر شمالي - غربي ويتمثل في باريس وضواحيها، وفي علاقة الشخصيات بهذين الفضاءين وتحركها عبرهما تكمن كل أهمية الراوية.

وإضافة إلى ما سلف ففي هذا النص يتجاوز الواقعي المعيش والتخييل والمحلوم والمتوهم كما يتجاوز السرد المشهدي والسرد الخالص والخطاب الإبداعي والخطاب النقدي.

وحينما تنتقل إلى المادة الحكائية يتبين لنا أن النص يحكي قصة قرية يعاني أهلها من الفقر والحاجة إلى أبسط ضرورات الحياة ومما يضاعف معاناة هؤلاء، توالدهم وقعودهم في انتظار الذي يأتي ولا يأتي، في انتظار الطفلة التي وكلت إليها مهمة

وعى الشرقيين وسيادة الفكر الغيبي والسحر والخرافات والشعوذة بينهم والتواكل وعدم إيلاء أية أهمية للزمن، تبين الرواية أيضا أن مجمل هذه الأسباب تنعدم في الغرب لذلك فهو متقدم.

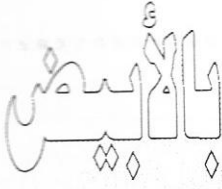
ثيمة أخرى يثيرها هذا النص هي ثيمة المرأة حيث يسجل أن وضعيتها في مجتمع ذكوري كمجتمع النص، وضعية مزرية عنوانها العريض: الخضوع والازدراء، والعنوان (أبصار خفيضة) مستوحى من هذه الوضعية ودال عليها، إذ علاوة على الحرمان العام الذي يعاني منه مجتمع القرية، تعاني المرأة من حرمان آخر يتمثل في الحرمان من التعليم ومن إبداء الرأي ولو في موضوع يتعلق بزواجها أو بأسرتها، كما أنه لا قيمة للمرأة ولو في نظر نفسها إن كانت عاقرا غير منجبة (مثال العمة سليمة) هذا عن المرأة القاعدة في عقر بيتها أما عن المرأة المحظوظة التي تستطيع قهر الظروف وتجاوز العقبات وتحصل على قسط من العلم، فإن علمها هذا لا يحول دون تعرضها للاستغلال الجنسي بل يكون سببا فيه (نموذج زينة التي يساومها أحد المسؤولين على النشر ويضغط عليها حتى تخضع لنزواته مما يدفعها إلى الانتحار).

أما ثيمة الهجرة فالرواية ترصد دوافعها وما ينتج عنها من معاناة حيث تبين أن أهم دافع إليها هو البحث عن العمل والرغبة في تحسين الوضعية المادية والحصول على الثروة، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث تنتج عنها عدة مشاكل منها تشتت الأسر في حالة عدم اصطحاب المهاجر لأسرته مما يؤدي إلى حرمان الأطفال من الحنان والعطف الأبويين (ص: 16) أما إن اصطحبها فإن مشاكل من نوع آخر تواجهها منها مشكل اللغة بالنسبة للأبناء وما ينتج عنها من مفاضلة وصراع بين اللغة الأم (الأمازيغية هنا) ولغة البلد

قيادتهم إلى الجبل من أجل ارشادهم إلى المكان حيث دفن أحد الأجداد كنزا. وأثناء هذا الانتظار تزداد المعاناة ويتضاعف البؤس والحرمان ويهاجر الشباب إلى المدن الكبرى المجاورة أو إلى الخارج ويبقى الشيوخ بفكرهم الغيبي وخرافاتهم وشعوذتهم وعجزهم وذكرياتهم البالية.

والملاحظ أن الطفلة -القائدة تولد بالقرية، ومنذ طفولتها الأولى تبدو مشاكسة رافضة لنمط الحياة القروية ولقيمها ولا تريد أن تكون نسخة من أمها أو جدتها ولا امتدادا لهما بل ترغب في إحداث قطيعة معهما (ص: 44) وقد تسنى لها ذلك بالفعل خصوصا لما هاجرت رفقة أسرتها إلى فرنسا وتعلمت وثققت ووعت وضعية مجتمعا وأسباب تخلفه. لذلك فإنها لما تعود إلى القرية تعود لا من أجل قيادة أهلها إلى مكان الكنز بل لتفنيد أو هامهم وتبيان أن لا كنز هناك بل مجرد أوهام معششة في الرؤوس يجب نقضها والتخلص منها والعمل لتغيير الأوضاع غير المرغوب فيها، وذلك فعلا ما يحدث في نهاية المطاف.

وبموازرة قصة الراعية التي تحاول، كما رأينا، أن تبين أهم مظاهر انحطاط الواقع الروائي (الشرق) وترجع أسبابه إلى تأخر



من السهل أن يتخيل المرء، حتى ولو لم يلحظ من عناصر الاشتباه ما يؤكد له الرؤية، صورة ذلك الرجل الماكر الذي يجلس، في حالة قصوى من التردد، وراء قلم سيال يكتب بإتقان كل فنون المنكر. لأنه موجود، في كل حالة، برأي يدعي له الصواب والنزاهة. ويظل من الزاوية لكي يتفرج على جراح القوم فلا يعود اليهم، لا غيا، إلا لكي يلقي على مسامعهم شيئا من الحكم الطاهرة بعد أن ينسيهم انه حارب مع اعدائهم ضد وجودهم. وهو يتنازل يوميا في كل جملة يركبها ويتحول تدريجيا عبر كل موقف يبديه. وهو لا يرتاح إلا الى نفسه عندما يوبخها على ما عجزت عن الاتيان به من حقد وما قصرت في بلوغه من أعراض. وهو دائما بين الناس الغافلين عنه أعرف من يعرف القرار وأول من يحيط بالأخبار وآخر من يختم على صندوقها. وهو دائما خارج نظام القبيلة ولكنه يمارس الوشاية لدى زعيمها طامعا في أن يصبح له "عيناً" على جميع أفرادها. ولو قدر له يوما أن يسرق بعض فصول من تاريخ البلاد لباعها قبل أن يشطب على الحدود التي كونتها. ومن الطبيعي أن يكون لهذا الرجل الماكر، بعد القلم الوطني السيال، سيف مروق بالدين الكريم لكي يهش به على من كفر بأقواله من الصامتين... لأنه يعرف حقيقة، أن جاهلية ما تبقى من القرن العشرين أنسب فترة ممكنة لادعاء النبوة. وأن الكتابة بالسيف رتبة. وأن النص الوحيد هو الجهاد العنيد الى أن يعم سلطان الجماعة بالعدل والإحسان.

مصطفى المرباط

على صواب، وعن اعتبار أو هامك وهو جسدك حقيقة، رغم أن حقيقة هذا البلد أقوى وأشد حمقا ولا توقعا من كل أو هام هذا العالم» ص: 285.

وقالت أيضا: «ليس الخطأ خطاهم إن كانوا فعلا قد غدوا بعض الأوهام. أما أنت فافعلي ما يحلو لك. هيا، خذي ثانية آلة التصوير، وصوري أهل قبيلتك، إنهم لن يحقدوا عليك، إنهم أكبر من ذلك...» (ص: 285 و 286)

وهذه الرؤية هي سبب إقبال الغربيين، والفرنسيين منهم على الخصوص، على إنتاجات الطاهر بن غونكور (كما أسماه أمل سامي (1)) وسبب مجازاتهم له. وهي أخيرا السبب الذي دفع كثيرا من المثقفين المغاربة إلى اتخاذ موقف سلبي من الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية ومن كتابه، بل إنها جعلت بعضهم يدعو إلى سحب الهوية المغربية عن هؤلاء وعن كتاباتهم، وإلى اعتبارهم كتابا فرنسيين من أصل مغربي (2) □

Tahar Benjelloun : Les yeux baisses- *
Ed: Seuil- Paris; janvier 1991

والاستشهادات الواردة ضمن هذه القراءة هي من ترجمتنا.

1) Amale Samie: Les morts n'ont pas le sens de l'humour

In vision N 11/12; Avril- Mai, 1991,
P.P : 27/28

(2) هذا الرأي عبر عنه الأستاذ بنسالم حميش في استجواب أجراه معه الأستاذ عبد القادر الشاوي ونشرته مجلة اليوم السابع العدد 334 بتاريخ فاتح أكتوبر 1990.

المضيف (الفرنسية) ومشكل التمدد إضافة إلى تباين القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية بين البلد الأصلي والبلد المهاجر اليه، والعنصرية والاحتقار (ص: 102) وهذا كله يؤدي إلى عدم الإحساس بالاستقرار والمواطنة (ص: 103) كما يؤدي إلى فقدان المهاجرين لأبنائهم وإلى انفصام هؤلاء واصطدامهم في نهاية المطاف بإشكال خطير يتبدى في ما يستشعرونه من اغتراب في أوطانهم الأصلية ورفض في الاوطان المستقبلية لهم.

وبهذا يتبين لنا أن الرواية قد حاولت أن تضع أصابعها على مجموعة من الأدواء التي تنخر كيان المجتمع الروائي وأن تشخص أسبابها وأساليب علاجها. لكن ما يلاحظ هو أن هذه العملية تمت بالاعتماد على ثيمات مجتررة ومطروقة في الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية وضمنه اعمال سابقة للمؤلف نفسه وهذا الاجترار ناتج عن استمرار المؤلف في نزوعه الإغرابي، ذلك النزوع الذي أبان عنه في أعماله السابقة والذي يتمثل في هذه الرواية في كون الساردة - الشخصية المحورية تنظر إلى واقعها من خارجه، كما أنها لا تربطها به أية رابطة رغم انتمائها اليه، وهذا ما تعبر عنه رؤيتها لبعض الظواهر المجتمعية رؤية سائح كل همه هو التقاط صور غريبة في بلد عجيب، وهكذا فهي تنظر باندهاش لظاهرة تعدد الزوجات وكثرة الأبناء ولل علاقة بين الزوج وزوجته اللذين لا يتحابان قبل الزواج بل لا يعرف أحدهما الآخر إلا ليلة الزفاف (ص: 146) ولا جترار الشيوخ لمغامراتهم الجنسية لما كانوا شبابا (ص: 172)، وللشيخ الذي يتزوج أختين صغيرتي السن، في نفس الوقت... وقد انتبهت إحدى الشخصيات لهذه المسألة ونبهت الشخصية المحورية إليها، حيث قالت: «بالوقاحة انتنزهين، كساشعة، حاملة آلة تصوير، عليك أن تفيقي من سباتك، أن تكفي عن الاعتقاد بأنك دائما

في حوار مع
يوسف فاضل:

إن الكاتب في النهاية لا يروي سوى حكاياته الخامة

قدم للحوار: عبد الله العلام
أنجزه: عبد الرحيم العلام

ارتبط اسم يوسف فاضل، في
بداية مشواره الإبداعي، بنص
مسرحي كتبه تحت عنوان
(حلاق درب الفقراء) سنة 1980،
نال شهرة بعد أن حوله المخرج
السينمائي المرحوم محمد
الركاب إلى فيلم سينمائي.
وما يستدعي الانتباه عند يوسف
فاضل هو ذلك الامتداد والتحول
الذين عرفتهما الكتابة عنده

إعلاء سلطة الطوطم، أو إلى تدميرها.
تقول الحكاية: القرد (مروض القردة
ومؤنسها) صاحبة القرد الخالص، أي القرد
ذي النزعة القردية الأصلية، وبينهما المعزة،
يوثر القرد المعزة بكل مالد وطاب: طواجين
مشجرة، ومشهيات معتقة، ومذاقات يسيل
لها لعاب القرد المرتبك من قبح الإيثار
ومغبته، يردد القرد للمعزة بين كل لحظة
وأخرى:

«نعسى نعسة القايد، يا أختي»، ولأنها
لا تدرك القصد بالتحديد، تتعرض للجلد
المبرح والتعذيب دون شفقة، والقرد مع ذلك
لا ينظر إلى القرد ولا يحادثه بأمر، ويتكرر
الأمر الموجه إلى المعزة دون جدوى، والقرد
-أثناء ذلك- يتقوى لديه حذر مشوب
بخطر مرتقب، وكان على صواب، ففي
صباح اليوم التالي، وجه الأمر إلى المعزة
التي يستحيل عليها-فعلا- تقليد قايد
مغربي في نعسته الشهيرة بالاستلقاء على
عين القفا ووضع رجل على أخرى في
الهواء. إن ذلك صعب التحقق حتى بالنسبة
لمواطن حقيقي من بني آدم. ويخرج القرد
سكينه المبراة ويتم ذبح المعزة وسلخها أمام
القرد الذي تحول رعبه المقيم بفعل الدم
واللامعنى إلى قرد نافع، وبالعربي الفصيح
تحول إلى مواطن صالح.

ما الذي يريد قوله السنوسي؟ أمام
انكسار أصوات المشاركين في الطقوس
وانقطاع أنفاسهم يقوم القرد الملطخ بدماء
الضحية ليخاطب القرد الذي خرج من
جسده وعاد إليه على صورة أخرى لم
يألفها، قائلاً بثقة: هيا، أيها القرد، انهض
وانعس نعسة القايد.

لا يمكن وصف التصفيق الذي تلا قيام
القرد بتقليد نعسة القايد، وتعبير الخضوع
والمهانة الذي انعكس على وجه القرد وهو
يوجه إلينا اتهامه: لقد انفتح المعنى العميق
للحكاية، وعلينا، جميعاً، أن نحارب تحويلنا
إلى قردة معمدة بدماء الشهداء. □

مُطالبا

محمد الهادي

في الحفل الذي أقامه أحمد
السنوسي (بزين) خلال انعقاد
المؤتمر 11 لاتحاد كتاب المغرب
برزت حكاية القرد مع المعزة
التي رفضت تقليد القايد في نعسته
الشهيرة، وتأكد-أيضاً- انتماء فن
السنوسي إلى تقاليد الفن الشعبي المعتمد
على الحكاية المكثفة التي يتنازل فيها
الحيوان عن «انسانيته» المحتملة وهو يقوم
بدور الشهيد والضحية.

لا يمكن أبداً اختزال الحكاية في مجرد
كلمات منضدة، إذ ينبغي لهذه الكلمات أن
تكتسب مهارة الجسد الذي أنتجها وأحيها،
وأن تكتسب سلطة وضع المشهد في
حميميته وصفائه، فالحكاية -كما قدمت-
هي إحياء لطقس تتنازع فيه السلطة
والرغبة والإرادة المواقف، وعبر التهجين
الممنهج تتم عملية الإدماج والإحتواء.

يقدم السنوسي الحكاية بحذافة بالغة،
وتتجلى في قدرة هذه الملامح والحركات أن
تتحول إلى أقنعة تتناوب عبر كتابتها الدالة،
وإيحائها، تلك المهارة الماكراة للقرد،
وتوجس القرد، وصفاقة المعزة وانعدام
حيلتها، ولا شك أن السنوسي نقل إلينا عبر
هذا المشهد الطقوسي شيئاً شبيهاً بما يقدمه
«الساحر» الإفريقي في رغبته الجارفة إلى

وتعشق يدك التي تكتب. عندما تأسرك أنك وتتخيلها مجال صراع مع العالم، وتريد لها أن تستمر كذلك، في معركة مفترضة، وتريد أن تنتصر فيها بشكل من الأشكال.

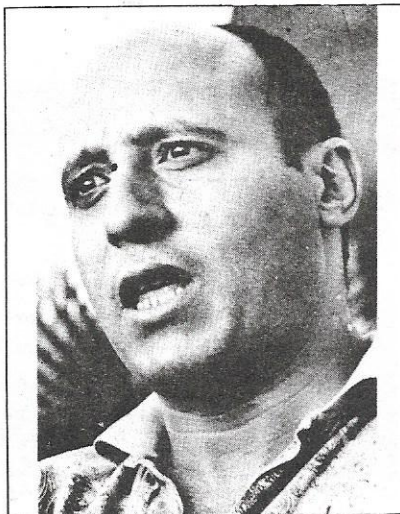
وقد جربت الرسم في البداية. وقضيت في مدرسته شهراً أو ينيّف ولظروف ما استعصت علي المتابعة وكأي واحد يريد أن يفعل شيئاً بذاته، ألقيت بها في فرقة مسرحية. بعدها فقط اهتمت بالمسرح. ولقد أدركت أيضاً أنني لن أكون ممثلاً، لن أستطيع. فأتجهت إلى التفكير في بلورة نصوص للآخرين. كان هذا في بداية السبعينات ثم جربت أشكالاً أخرى بعد ذلك.

هذا التوجه في البداية نحو الكتابة المسرحية فرض عليك توجهاً أو «تحولاً» آخر نحو جنس آخر من الكتابة (الكتابة الروائية). فما سر هذا التحول الموازي للتحول السابق -الذي ذكرته- حتى لا نقول بالقطيعة بين جنس كتابي وآخر؟

بداية المغامرة هو إعجابي بالجنس الروائي نفسه. وبشعوري الغامض بأنني لن أكون كاتباً كما أريد لنفسني أن أكون إلا بالخوض فيه.

ثم إن هناك أسباباً أخرى عملية لم أستطع فك مستقلقاتها تماماً أو أبداً (الفصحى والدارجة: فأنا لا أرى المسرح يغير الدارجة. وفي نفس الوقت أكتب نصوصاً للنشر بالأساس. والنصوص بالعربية أيسر قراءة... الخ).

هذا السؤال السابق (أي شكل التحول) يفرض علينا، هنا، التوقف عند مفهوم الكتابة الروائية لديك. فكما هو معلوم صدر لك نص روائي أول (الخنازير) منذ (1982) ثم تدهن هذا العقد الجديد بنص روائي جديد أيضاً (أغمات 1990). ومن هنا يتبدى لنا أن هذا التحول نحو



يوسف فاضل

هو أن "فاضل" لم يكن ينوي من وراء هذا التحول أن يعمل على إحداث قطيعة بين الكاتبين (المسرح، الرواية)، فهو يعلم مسبقاً أن الحدود بينهما هشة وجد شفافة كما أنهما متناغمان ومتجاوران. وإذا كان قد اختار الرواية فلأنها مجال خصب لتطوير الأدوات وتنويعها بما تزخر به من فضاءات متعددة وإيقاعات متنوعة تستجيب كلها لاستثمار تخيلات المبدع، ومع ذلك فإن النتاج عند "فاضل" يظل خاضعاً لرغبته الذاتية، فقد يكتب مسرحاً أو رواية أو أي شيء آخر كاستجابة لما تملّيه هذه الرغبة وهذا الواقع: رغبته هو ورغبة الآخرين، واقع هو وواقع الآخرين...

نبدأ بالسؤال الروتيني: كيف جاء يوسف فاضل إلى الكتابة، وما هي الخلفيات والمرجعيات المتحركة في هذا التوجه نحو الكتابة المسرحية في بداية هذه العلاقة المستمرة هنا مع الكتابة...؟

كل الذين تعلموا الكتابة على مقعد المدرسة، وقعدوا تحت غوايتها في وقت من الأوقات. واعتقد أننا جميعاً نظمنا شعراً أو كتبنا نثراً ذات مرة. المشكلة تأتي فيما بعد. عندما تسقط في حبال خطك المكتوب.

فمن كتابة النص المسرحي إلى تجريب كتابة نص سردي /روائي أول (الخنازير) كنمط من الكتابة يتميز عن

النمط الأول / المسرحي ويختلف عنه حسب "يوسف فاضل" بخصائصه الفنية المتنوعة التي تتوفر له وحده ولا تتوفر لغيره من الأجناس الأدبية الأخرى كال مسرح الشعر.

وأما الذي فرض هذا التحول في مجال الكتابة من المسرح إلى الرواية على "يوسف فاضل" فيحدده في أن ذاته لا يمكنها أن تتحقق إلا فيها (أي الرواية) وبها. يبقى، إذن، هاجس البحث عن الذات هو الهاجس الرئيسي الذي استحوذ على مشاعر "فاضل" ووجدانه، كما انشغل به ذهنه وتفكيره، وحتى حلمه هذا، فقد ارتأى أن يعد عدته ويمتطي جواده فينتيه في الصحاري وبين الهضاب والجبال على وعورة مسالكها بحثاً عن محبوبته. وخلال هذه الرحلة استطاع أن يتعرف على خارطة الابداع وعرف كيف يعبر أنهارها ويتسلق تلالها، مقتنياً بذلك أثر هذا الذي ظل مسكوناً بعشقه، وأخيراً استقر به المطاف في هذا المدى الزاخر بالفرايب والعجائب الذي يطلق عليه اسم (الكتابة الروائية).

عانق يوسف فاضل الرواية عنقاً ذلك العاشق الذي يتلف لروية الذات المحبوبة. تلك هي، إذن، مرحلة الانعتاق والانفلات من قبضة الكتابة المسرحية، بالارتقاء في أحضان الكتابة الروائية، ولقد استطاع فاضل، حقاً، أن يعطي الدليل القاطع على صحة ما يريد أن يراهن عليه في هذه التجربة الجديدة من خلال رواية (الخنازير) وروايته الأخيرة (أغمات) بشكل خاص.

ويرى "فاضل" ثانياً أن النص المسرحي أصبح غير قادر على أن يظل وسيلة ناجعة في تبليغ الصراخ والاحتجاج، بينما بات ذلك مؤكداً بالنسبة للنص الروائي، غير أن الذي تجب الإشارة إليه هنا،



حوار مع يوسف فاضل

مرة (ليست المرة الأولى، لأنني قضيت طفولتي هناك، في رياض العروس) وتجلت لي روح كل ما دورته في دماغي مدة طويلة من الزمن. بعدها بدأ كل شيء مرتباً. سهلاً، محفزاً بشكل غريب.

إذا طلبنا من الروائي يوسف فاضل أن يتحدث عن موقع تجربته الروائية الجديدة هاته (أي «أغمات») ضمن الإنتاج الروائي المغربي الذي عرف قفزة نوعية / تراكمية في أواخر هذا العقد الثماني.

فماذا ستكون وجهة نظره هنا؟

هذه مهمة الناقد. إنني لم أفكر في الأمر. لن أهتم به. دون أن أُلغى طبعاً أن من بين طموحات الكاتب أن تحتل نصوصه مقاماً من المقامات.

كثيراً ما يلجأ الكتاب والروائيون في أول نصهم الإبداعي إلى استثمار المكون الأتوبيوغرافي. فما سر هذا الغياب لهذا المنحى في الكتابة السردية لدى يوسف فاضل؟

الحدود بين هذا وذاك جد شفافة، بحيث إن الكاتب في النهاية لا يروي سوى حكاياته الخاصة. لا يتحدث سوى عن نفسه وأصدقائه وعلاقاته. ثم إنني أرى الواقع والناس من زاوية خاصة، لا أستطيع معها، إن أردت اقتحام الفضاء عليهم، سوى أن ألبس لبوساً يليق بالكرنفال الذي أعرض له. ثم إنني تعلمت أن أنسى. ولقد نسيت كثيراً من التفاصيل...

كثيراً ما يتم الحديث عن أزمة نص بخصوص الكتابة المسرحية، ألا ترى هذا التحول نحو الكتابة الروائية هو تحول يحمل معه استفحال هذه الأزمة، مع العلم أن لك هنا نصاً مسرحياً حول إلى

المونولوج الطويل. مونولوج جهري. كأنما كتب لكي يلقى من فوق خشبة. الأشخاص أيضاً. يحملون ذواتهم بشكل مبالغ فيه، كما يحدث فوق الخشبة، تماماً.

لنتوقف قليلاً عند الكتابة ومستويات صوغها وتوصيفها في هذه الرواية (أغمات). فالشيء الملاحظ والجدير بالتنويه في طرائق كتابة هذه الرواية وتشديد محكياتها تلك، هو هذه القدرة التضليلية الكامنة خلف فعل الكتابة ذاك، وهي القدرة التي تقلص في هذا النص من سلطة المرجع، هذا الذي تم تكسيه هنا حتى على مستوى المرجع الذاتي للكاتب.

إنني أبحث الأشياء من الواقع اجثتاتاً تعسفاً، وأعيد تركيبها في الآلة التي أشتغل عليها، وكذلك الأمر بالنسبة لما بقي في الذاكرة من مؤامرات سالفة.

أقول هذا كواحد يكتب في المقاهي. أعني يعمل كما لو كان الأمر يتعلق بمسخرة عمومية. وقد تكلمت عن الشخصيات التي تظهر كما لو كانت فوق خشبة، تستعرض عاهاتها بكل التهريج اللائق. إن الأمر مركب: مزيج من الهزل والجد، من الواقعي واللاواقعي...

ما سر هذا الاهتمام لديك بفضاءات روائية (غير مطروقة)، هل الأمر هنا مؤثر نحو فريدة معينة في الكتابة واختيار الفضاءات وفق تحديد معين وجديد لتشكيل سردي خاص استطاعت رواية (أغمات) تلخيصه، انطلاقاً من اعتماد بنية سردية تلغي أنواعاً معينة من التفسيرات التي عادة ما تطال خطية هذه البنية السردية (كغياب استخدام الحوار المباشر بين الشخصيات مثلاً).

لا ينبع الأمر من رغبة في التمايز والفرادة، فقط. إن الفضاء الذي كتبت فيه هو الإطار، وهو المضمون. وجدني في مراكش ذات

الكتابة الروائية ليس تحولاً مؤقتاً بقدر ما هو تحول نحو البحث عن علاقة أخرى مع العالم ومع تصورك وفهمك له؟

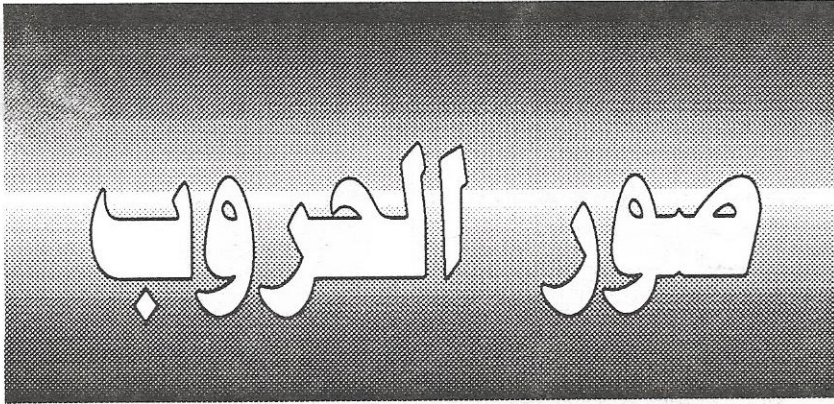
هل أستطيع أن أجيب عن الأسئلة بالوضوح الكافي؟ إن لكل جملة ظلاً جوهرها الذي لا يبين إلا عندما تخط الجملة أو ترسم الفكرة.

لقد قلت فقط علي أن أجد الوسيلة الملائمة الأصرخ احتجاجي ملء الحنجرة. وربما كانت الخشبة كافية. ولكنها تبدولي الآن أقل راحة وأقل استعداداً. والذي حدث بكل البساطة والسذاجة اللتين يحملهما هذا الكلام، هو أنني دخلت رهاناً مع النفس وقلت لها ذات مرة في مطلع السنة المنصرمة: هذه المرة علي أن أخطو خطواتي التي لا رجعة فيها.

إن قارئ روايتك الأخيرة (أغمات) سرعان ما يشعر بغياب الكاتب المسرحي وحضور كاتب السرد إن صح هذا الوصف. فهل شكل الكتابة هنا في هذه الرواية محكوم بشكل التحول نفسه، وهو ما وقفت عنده ولا مسته في قراءة سابقة لروايتك هذه؟

وأنا أفكر في الأمر، بدالي، بعد أن أنكرت بداية، أن الكتابة المسرحية غائبة شكلياً فقط ما الذي بقي في (أغمات) من المسرح إذن؟ من كتاباتي المسرحية السابقة؟ بقي

فيلم سينمائي ناجح..



المسرح يتطلب أشياء أخرى غير النص. فكما لا يوجد نص بدون من يقدر على تمثيله أو إخراجه، لا يوجد ممثل أو مخرج لم يجد نصهما المناسب. إن لكل شئ طبقته كما يقولون.

واعتقد أن الكتابة النقدية بالغت في الصورة التي كونتها لنا عن المسرح. فبعد أربعة عقود من الزمن، لم يبق في الذاكرة شيء يذكر. والأمر في الواقع لا يتعدى تجارب قليلة ومحدودة. أما بالنسبة لي فإنني أسير وراء هاجس البحث عن طريقي الخاص، أي عن الطريق التي تجعلني مكال لكل وسائل الإبداعية.

في الاستجواب التالي الذي أجرته جريدة (لوموند) في ملحقها الأسبوعي عن الإذاعة والتلفزة، مع مارك فيرو حول الطريقة المعتمدة من قبل القنوات التلفزية الغربية في تغطية أحداث حرب الخليج وكذا

علاقة المؤسسة العسكرية بالمؤسسة الإعلامية ماضيا وحاضرا ومارك فيرو هو أحد أهم المختصين في موضوع العلاقات القائمة بين التاريخ والفيلم (السينمائي والتلفزي).

وهو مؤلف (السينما والتاريخ — 1977) و (التاريخ تحت المراقبة — 1985) كما اشترك مع أحد زملائه في إنجاز سلسلة (التاريخ الموازي) وهو برنامج من حلقات تم إعداده انطلاقا من الأرشيف حول الحرب العالمية الثانية.

لقد تتبعت أشغال وعروض الملتقى المسرحي الثاني المنظم بمدينة أكادير وبتنسيق بين اتحاد كتاب المغرب والمجلس البلدي للمدينة، ولا شك أن أسئلة وهروض هذا الملتقى قد ساهمت في تحريك الشعور والإحساس لديك بالقيام بشيء ما أو برد فعل ما (كتابي). فهل لهذا الشعور والإحساس أي أثر على التفكير مجددا في استعادة البحث والكتابة في المجال المسرحي، انطلاقا من الواقع الراهن لهذا الأخير..

سؤالك يفشي تدمرك من الواقع المسرحي الحالي.

وهذا ما يتضح من خلال العروض المقدمة في المهرجان الثاني بأكادير. المسرحيات لا موضوع لها، بدون موضوع وبدون ذاكرة. وأضاعت لغتها التي توهمت فترة الستينات والسبعينات.

وهذا لا علاقة له برغبتني أو عدمها في الكتابة. إنني عندما أكتب أنطلق من رغبة ذاتية وخاصة جدا. وقد يأتي الإنتاج مسرحا أو أي شيء آخر.. □

س/ من الذي يميز رأيكم التغطية الإعلامية لحرب الخليج مقارنة بتغطيات الحروب السابقة؟



ج/ أحد المستجدات الأولى لهذه الحرب هي أن الجميع أصبح يشاهد الصور ذاتها بحيث أننا نجد أنفسنا اليوم ليس إزاء تعايش الانتاجات الوطنية بل إزاء نظام

للهمينة يتعدى الحدود الوطنية إزاء شيء هو من قبيل نظام فوق-وطني لانتاج الصور فبينما كان كل معسكر خلال الحرب العالمية الثانية يراقب نظام إنتاج وتوزيع صوره الخاصة كما كان عليه الحال بالنسبة للألمان وكذا بالنسبة للإنكليز والفرنسيين وهو ما يسمح لنا اليوم بتقييم ومقارنة الطريقة المعتمدة آنذاك من قبل هذا المعسكر أو ذاك في معالجة الخبر أو في

صور الحروب

ج / ثمة مستجد ثاني يمثّل في كون القنوات التلفزية تنزع اليوم للاضطلاع بدور سلطة مضادة: ففي فرنسا مثلاً وطوال عقود مديدة كانت الصحافة المكتوبة ثم التلفزة فيما بعد موضوعاً تحت رقابة الدولة والحكومة قبل أن تتحرر منها في وقت من الأوقات. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن القطاع السمعي-البصري أصبح نوعاً من السلطة الثالثة النازعة إلى تحقيق استقلال ذاتي وكامل باسم الحق المقدس في الأخبار وهو بالتأكيد أمر جد إيجابي. لكن عندما يكون البلد في حالة حرب من المناسب التذكير أيضاً أنه إذا ما كانت سلطة الحكومة تنبثق عن الاقتراع العام فالأمر ليس كذلك بالنسبة لسلطة عالم الاتصال وهو ما يجعل من الصعب تقديم تبرير مقنع عن مدى شرعية الامتياز الذي تحظى به هذه الوسائط والذي يجعلها الوحيدة من بين باقي مؤسسات الأمة الأخرى التي لا يتم إخضاعها لواجب التحفظ عليها. وبالتالي يصبح من المشروع أن نتساءل بصدد ذلك عن مدى كفاية وملاءمة مصطلح الرقابة-الذاتية بالقول: أليس الصحفيون هم أيضاً مواطنون؟ ففي فرنسا أصبح الحرص على ممارسة الحقوق المهنية ستاراً يخفي إرادة مضمرة في التعبير عن حقيقة مغايرة لتلك التي تعبر عنها السلطة القائمة، لقد أصبحت التلفزة بحكم الواقع سلطة مضادة بدءاً من اللحظة التي ادعت فيها قدرتها على خلق الأحداث واستثمارتها- وذلك على خلاف الصحافة المكتوبة التي اكتفت في الغالب بإعادة إنتاج الأحداث أو التعليق عليها- وبينما كانت مقدرة خلق الحدث وفقاً على رجل السياسة أو العسكري أصبح ذلك اليوم بمقدور التلفزة أيضاً.

س / منذ متى حصل لذى الصحفيين الوعي بهذا الدور الجديد؟

ج / من المحتمل أن ذلك حصل مع حرب

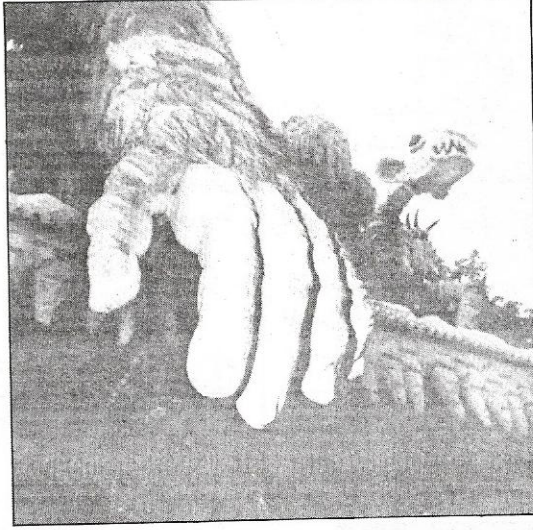
الفيتنام فهي أبرزت للصحفيين مدى السلطة التي يتمتعون بها. حرب الفيتنام كانت بهذا المعنى لحظة استثنائية بالنسبة للمهنة. وهي اللحظة الوحيدة في تاريخ وسائط الاتصال التي توفقت فيها في أن تتموقع في تضاد مع السلطة السياسية القائمة عبر تقديمها لتغطية عن الحرب بطريقة تختلف عن الطريقة التي دأب الخطاب الرسمي على أن يقدمها بها. فالصمت المطبق والذي وقع تعميمه في قبل العسكريين خلال حرب الخليج هو بمثابة رجع لأثر الصدمة بحيث أن العسكريين وبعد أن كانوا ولدة طويلة محرومين من الحق في التعبير عن أنفسهم ومعتبرين دوماً كموضوع لاحتقار مجموع وسائط الاتصال بدليل انتفاء أي منبر صحفي يحرص على تخصيص متابعة منتظمة لأخبار الجيوش. فالانضباط العسكري الذي أخضعت له وسائل الإعلام هو بمثابة رد الأمور إلى نصابها.

س / لكن هذا لا يلغي كون الرقابة تقلص إلى حد كبير سلطة الصحافة...

ج / صحيح أنه لم يحدث في الماضي أن كان التصوير خارج مراقبة الجيش بالصعوبة التي هي عليه اليوم لكن الصحيح أيضاً أن إرادة الاستقلال الذاتي للتلفزة إزاء السلطة لم تكن بمثل القوة الكبيرة التي هي عليها اليوم وهي مسألة تأخذ كامل شرعيتها خاصة أن رجال السياسة يطلقون في العادة أي كلام يخطر على بالهم في حين أن العسكريين الأمريكيين لم يتورعوا عن الكذب بصفاقة وبدون حدود خلال الأيام الأولى للحرب! والتغطية التي أدبت التلفزة على تقدمها عن الحرب لا تخضع (بالضرورة) للتعليمات الحكومية أكانت هذه التغطية بالصور أو بدونها. إذ ثم على سبيل المثال إضهار عدد هائل من صور المظاهرات السلمية وهو أمر يبدو مألوفاً، لكن ما لم يتم إجهاره هو الصور النقيضة

التلاعب به. بحيث أن النازيين مثلاً لم يكونوا يتركون الشاهد يتكلف بنفسه بالإدلاء بشهادته مباشرة إلى المشاهد بل أن ذلك يتم بتوسط المذيع في حين أن الإنكليز كانوا يعتمدون بالمقابل إلى استعمال الشهادات المباشرة فالشهود كانوا يعبرون عن أنفسهم مباشرة وبدون شك أن الكثير من الأشياء كانت تتعرض للقطع والبثر في مرحلة التوليف بيد أنه لم يحدث أبداً أن ثم الحديث باسمهم. الاختلاف البين الذي عرفته حرب الخليج هو تطوير بنية إعلامية شبه كلية، وسواء كان مصدر الصور هذا المعسكر أو ذاك العراقي أو الأمريكي فإن جميع القنوات وفي كل الأحوال تعتمد إلى بثها حتى ولو أخضعتها للفرز المسبق: بينما نجد أن فرنسا خلال سنتي 1939 و1940 لم تكن تعتمد أبداً إلى بث الصور التي يكون مصدرها العدو. علماً أنه كان بمقدورها ولزمن طويل أن تحصل عليها من الأمريكيين. في حين أن القنوات اليوم وحتى في الحالات التي تتوفر فيها على مراسلين خاصين نجدها إما تعرض الصور والأشياء ذاتها وإما أن صورها تغدو متجاوزة بتلك التي ترد عليها توا من قنوات أخرى وبوقت أسرع.

س / هل هذه الأحادية الإعلامية هي السمة الوحيدة المميزة لحرب الخليج؟



لها لماذا؟ ليس معنى ذلك أنه ليس ثمة وجود لانس هم إلى هذا الحد أو ذاك مع الحرب، بل أن السبب يعود لعدم وجود صور لهم. والحال أن ما كل شيء يتمظهر عبر الصور وبالتالي داخل الصور.

س / بالتأكيد ولكن ما العمل في حالة انتفاء الصور؟

ج / من الثابت أن وسائل الإعلام تميل إلى التعاطي مع الصورة الصادمة بوصفها خبراً. والحال أن الخبر الحقيقي يمكن فعلاً ألا يأخذ بالضرورة شكل صورة. فبدعوى وقوع تجاهل في الماضي للصور بوصفها مصدراً للإخبار يراد لنا اليوم أن نقع في مطب اعتقاد خاطئ مفاده أن الصور وحدها تمثل الخبر هذه الردة الثقافية تقصي كل تحليل لوضعية الصور ولدى تمثيليتها وبما أن الاعتبار ينصب على الصورة فقط يتولد لدينا انطباع خاطئ بأن الأهم هو أن تقدم لنا آخر صورة وأردة. الصورة الأكثر طراوة تلك التي ننفرد نحن برؤيتها في قناتنا والتي لن نصادفها في القناة المجاورة على نحو تصبح معه عملية انتاج الصور وأيضاً المنافسة المتأججة بين القنوات هما المحرك للخبر وليس أبداً الفائدة الإعلامية للخبر بحد ذاته وبما هو كذلك.

س / أليست مشهدة mise en scene عمل الصحفيين الذين يتم اظهارهم في قلب الحدث وهم يتفاعلون مع القصف مباشرة هي أيضاً بدعة جديدة؟ هي تمظهر آخر لنفس الانحراف كما لو أن الأهم ليس هو مضمون الرسائل، بل طابعها الاختراقي والجارف فحسب. وعوض إظهار الحدث يتم إظهار الصحفيين وهم في معرض تغطيته. والحال أن الغشاء وليس النواة هي ما يغدو خبراً.

ج / لقد تم بنجاح التغرير بالمشاهدين بدفعهم إلى الاعتقاد بأن الاخبار والتحليل

لم يحصل بإظهار الصحفي وهو يقوم بإنجاز ذلك في حين أن الإمكان إنجاز التحليل دونما إظهار - أو بإظهار أقل مع تحليل أوفى - والحال أنه يتم إظهار الكثير - وأيضاً على نحو غير شاف - في انعدام تام لأي تحليل وإذا ما حدث ففي موضع آخر تنتفي عنه أية أهمية وفي طلاق تام مع الصور.

س / هل يتم على نمو منهجي تصوير كل الحروب، وما هي المواد التي ستكون بحوزة المؤرخين في المستقبل عن حرب الخليج؟

ج / الحرب الروسية-اليابانية كانت أول حرب مصورة في بداية القرن وذلك من طرف مراسلين إنكليز وخلال الحرب العالمية الثانية اضطلعت بمهمة التصوير المصالح السينمائية التابع للجيش وهي التي كانت وراء ما كان يسمى آنذاك بالجرائد الحربية التي لم يكن هدفها إخبار الجمهور بل إطلاع القادة العسكريين فقد كان هدف القادة الفرنسيين على سبيل المثال: استطلاع كيفية عمل الرشاشات الألمانية أثناء تنفيذها لمهامها لكن ذلك لم يكن أبداً بهدف اطلاع الجمهور. وخلال الحرب العالمية الثانية تعايش السجلان معاً: الأرشيف العسكري الموجه للسلطات العسكرية والنوع الآخر

من الأرشيف الذي يمكن أن تعد لك من مواد العروض الاخبارية التي تتألف منها الجرائد الحربية المصورة الموجهة للجمهور الواسع.

جديد حرب الخليج أيضاً هو ان التصوير كان يتم بكل الوسائل وفي كل الزوايا عبر الاقمار الصناعية أو أية وسائل أخرى وإذا كان قد تم تسجيل العديد من الصور وغير ان مراجعة وحفظ التسجيل المحصل عليه يضل منعماً ففي السابق وعندما كان يتاح لأفراد ما ان يصوروا افلاماً شخصية في حجم 16 ملم أو 8 ملم وعندما يفرغون من التصوير ويتجمع لهم عند أوبتهم -

لنفترض عشر بكرات فانهم يعمدون إلى حفظها سواء سحبوها أم لا. لكن الاكيد أننا بعد عشر سنوات من ذلك سنجد أنها لاتزال محفوظة عندهم. أما اليوم ومع الكاميرات الحديثة التي تصور بدون توقف يتم تسجيل الصور لكن اذا احدث ان لم تقدم أية تلفزة على طلبها فان سيظل مجهولاً، وعلى أية حال أن يتم انقاذ جزء منها من قبل الجيش أو أية جهات أخرى... □

استجوبه توماس فريسنزي

تعريب محمد هشام



مسافات...!

تطول وتطول بفعل الحصار
المعلن على المدينة منذ زمن حتى
لا تتسرب صرخة طفل وهو

يبحث عن الثدي المهشم بجانبه...
مسافات...!

تمتد وتمتد بفعل الحصار المعلن على
المدينة منذ زمن حتى لا تخرج ابتسامة طفل
المدينة وهي تحمل الأمل في البقاء
والاستمرارية...

ومع ذلك، تتمكن
ابنة نابلس من اختراق
المسافات تحت واجهة
مغايرة، لكن الجسد
يبقى نفسه والهدف
نفسه:

هو إخراج
الصرخة والابتسامة
صورة حية ناطقة.

ليس هناك
سيناريو جاهز، أو
قصة مكتوبة أو

ممثلون يتهيأون لتقمص الأدوار،
وديكورات مصطنعة لتشخيص الأحداث،
ولكن هناك واقع يومي تجتهد الصورة
السينمائية لا لتقاطه قبل أن تذوب آخر
ملامحه مع غروب الشمس.

الديكور: نابلس بين الحياة والموت...
قبروها بعدد بيوتها... وصراخاتها بحجم
ابتسامة أطفالها... والشخوص أطفال صغار
يمارسون الجري باستمرار وسط المدينة
ويقومون بالحكي ضد الصمت والموت.

في الذاكرة الشعبية الموروثة يحضر
الإنسان المسن كمصدر للحكاية التي تنسأل
انسياب عمق تجربة زمن المصدر حتى ينأى
الأطفال. في نابلس تغيرت الأشياء... صار
الطفل هو الحاكي... والمفارقة كبيرة في فعل

الحكي... حيث الحكاية في «أطفال من جبل
النار» موضوعها واقعي وليس أسطوري،
وحيث الطفل هو موضوع ومصدر
الحكاية.

انه شريط تسجيلي حي عبره تمكنت
المخرجة «مي مصري» من التقاط اليومي
الفلسطيني عبر عين الطفل والطفلة اللذان
يشتركان في الحكي ويفترقان في
خصوصيات وعي كل منهما. وعبر عملية
الحكي التي تحاول أن تقرأ تحركات المكان

سينما

أطفال من جبل النار

زهور كرام

الذي يعيش حالة الطوارئ كل لحظة نتيجة
الهجمات المباشرة لجنود الكيان المفتعل مما
جعل الصورة لا تستريح في لقطة واحدة
وإنما تنتقل بشكل سريع من لقطة إلى
أخرى من هجوم إلى تصدي عنيد، بحيث أن
إيقاع الصورة في «أطفال من جبل النار» هو
من صميم إيقاع أحداث المدينة اليومية... عبر
كل هذا نقرأ وضعية المدينة في كل تفاصيلها
الصغيرة.

إن الصورة السينمائية في هذا الشريط
تعيش هي الأخرى مع نابلس و«مي
مصري» زمن الجري حتى لا يتم اعتقالها
كشباب نابلس العائدين من السجن في
«أطفال من جبل النار» بابتسامة نقرأ فيها
علاقة ابن المدينة بالسجن، وهي علاقة
صارَت حميمية بفعل الزيارات المستمرة

ونتيجة لكون السجن لم يعد ذلك الفضاء
المعادي مثلما نجد في رواية «إميل حبيبي»
«المتشائل»، وهذا يعني، أن قضية المدينة قد
غيرت من مفاهيم بعض الفضاءات. كثلة
من الصور تمر أمام العين بحجم المقبرة
التي تلبس الجبل... وأطفال كثيرون
يسيرون ويتجمعون حيث تبدو المدينة كلها
عبارة عن أطفال قد خرجوا من الزمن
الطفولي مبكراً لحمل الهم الكبير. مدينة
مؤتة أطفالاً يشع العناد من عيونهم،
يمارسون طفولتهم في زي قضيتهم حيث
يلعبون لعبة المكان
بسخرية فظيعة.

تقود الكاميرا
نظرتنا في فضاءات
الحدث اليومي وتتعب
العين لأنها لا ترتاح
في لقطة واحدة، وإنما
تجعلنا الصور
السينمائية عند «مي
مصري» نشارك في
عملية الجري المستمر،
وفي فعل الحكي من
خلال لغة الطفل الصادقة والتي تتطلب منا
جهداً كبيراً من التركيز على الصورة لفهم
جمل الطفل حكية، وأيضاً في الدخول إلى
الفضاءات الخالية لنختبئ مع الأطفال عند
سماع إشارة الإنذار، حيث يمنحنا هذا الفعل
إحساساً بالملاحظة.

لكن، العنف السياسي للمدينة لا يمنع
نابلس من مزاولة حياتها الاجتماعية، إذ في
حرارة المكان يجعلنا حكي الأطفال نلمس
هذا اليومي الذي يعيشه سكان نابلس بكل
معطياته، حيث تم التعرض عبر الحكي
الطفولي لكثير من القضايا الاجتماعية
كموضوع المرأة والرجل والحقوق التي
يتوفر عليها الطفل أكثر من الطفلة ثم وعي
المرأة بضرورة اتخاذ موقف صريح
بخصوص حياتها الخاصة، يعني، أن البنية

قراءات

«روح عامر»، أو الدعوة إلى ثورة الأكباش



دهاليز المكان تلتقط الجزئي لأنه يعبر عن حقيقة الواقع.

نابلس مدينة كغيرها من مدن العالم تعيش هي الأخرى حياتها الاجتماعية، تكتسب هي الأخرى وعيا بضرورة تغيير كثير من المفاهيم ولكنها مدينة تختلف عن مدن العالم لكونها صامدة بأطفالها في وجه جنود الكيان المقتل.. مدينة تعيش يومها بكامله - بطروفه ومعطياته لم ينسها العنف السياسي دورها الاجتماعي في التغيير والتطور والدفاع عن حقوقها. إنها تواجه العنف بالعناء وتأبى إلا أن تعيش بابتسامة أطفالها.

لغة أطفال نابلس حكاية إلى العالم بأسره... حكاية مدينة تجعل من الموت فرصتها الوجودية من أجل استمرار نابلس حية. يبدو ذلك، من خلال التعامل مع الموت داخل «أطفال من جبل النار» بسخرية تترك زمن الموت المتعارف عليه في المنطق اليومي عند الانسان.

لقد تمكنت «مي مصري» المتسللة إلى نابلس تحت جنسية مغايرة من إخراج اليومي النابلسي إلى العالم بأسره حتى لا تضيق الصرخة والابتسامة مع غروب شمس النهار.

بهذا، تصير السينما من أدوات المواجهة والنضال حين نسخرها في سبيل القضايا العادلة. □

الاجتماعية العربية هي نفسها، يبقى أن عنف المكان وحرارة الأحداث وأصالة القضية، كل هذه الأشياء التي صاغت تعبيراً جديداً في المواجهة تحت شكل الانتفاضة، قد جعل كل فرد يكتسب وعياً يحدد موقعه ضمن بنيته الاجتماعية ويصوب موقفه من أجل الدفاع عن كرامة المكان. فالطفلة الحاكية في «أطفال من جبل النار» تعبر عن وضعها كأنثى داخل مجتمع المدينة، حيث تمنع المدرسة وأيضاً الأسرة (الأب) الحرية للطفل لكي يمارس زمنه الطفولي في اللعب في حين تحرم الطفلة من هذا الهامش من الحرية.

إن التعبير عن هذا الواقع اليومي يعد موقفاً صريحاً للطفلة التي وعت إلى جانب احتلال مكان مسقط رأسها من قبل كيان مفتعل، يحضروا المدرسة والأسرة كمؤسسة اجتماعية لا تتعامل بالمساواة.

كما تمكن الشريط التسجيلي من ملامسة موقف المرأة من الرجل اللامسؤول، وذلك من خلال الشابة المخطوبة التي اتخذت قراراً بالتخلي عن خطيبها بعدما اكتشفت أنه لا يملك قراره، وأنه ذات موجهة بإرادة الام ومن تم، فهو خاضع باستمرار لسلطة الأسرة.

فالانتفاضة بهذا تكون قد خلقت وعياً اجتماعياً وليس فقط سياسياً. إن كاميرا «مي» التي تتحرك هي الأخرى بعنف داخل

لقد مضت الآن سنوات على منع

«أغلال الماضي»، ومع ذلك لا

يمكنني أن أنكر أنني ما أزال حتى

الآن أعيش هذه المصادرة جرحاً

يوميًا، لأن الإلغاء لم يمس

الكتاب كمادة للاستهلاك

والتداول فقط، بل أيضاً الإنسان

الذي حقق تقدماً حضارياً عميقاً

عندما أسس جسوراً جديدة

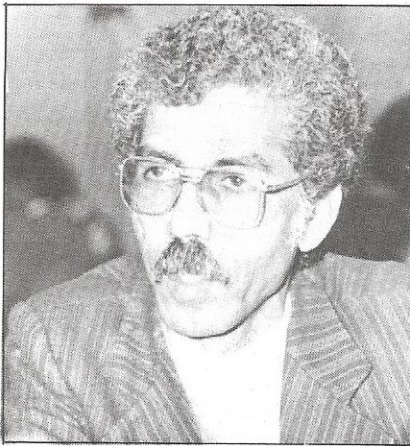
لتواصله عبر الفن والإبداع

والتخيل الحر (1).

(محمد البريني)



روح عامر



محمد البريني

العيد- يبدو أنه عندما رفض تصديق أن روح الشهداء تبقى حية نابضة رغم الغياب الأبدي لأصحابها، فقد أرجع تلك المشاهد التي عاينها إلى أفعال «السحرة» بشكل عام، وإلى رجل نائع الصيت ومقدس لدى قاطني مدن القصدير: عامر، بشكل خاص.

سيادة الدم

انطلاقاً من هذه النقطة صعد القاص من أجيال الفعل المزمع اتباعه من طرف السي التهامي (الفاعل) كخطة جديدة لمصادرة المفعول به (عامر)... ومع هذا التأجج الدرامي يصبح الدم سيد الموقف (الجيران ألبستهم وأبواب بيوتهم ملطخة بالدماء الأكباش المطارد هـلطة بالدماء...)، وهذا ما أدى إلى إختفاء الخدم والأطفال ورفضهم الخروج رغم التهديدات التي كان الجميع يتوعدون بها.

عامر، هذا «الساحر» الذي له تهمة تعاطي السحر، يبدو أن التهاميين الثلاثة «السي، الحاج، المعلم» ساكنو هذا الحي «السعيد» القابع فوق قمة هضبة مخضرة تشرف على المدينة قديلاً صبرهم، ويريدون تخلص المدينة، بأي ثمن، من هذا

سلطة معنوية

ولإعطاء هذه الدعوة صيغة وثوقية، فرض الكاتب منذ الاستهلال سلطة معنوية على النص بغية التحكم في صلب الموضوع حتى لا ينفلت منه، تماماً كالحارس الذي تلقى أوامر صارمة بعدم ترك أكباش العيد تلوذ بالفرار، علماً بأن هناك أكثر من كبش سبق له أن «كسر الباب وقطع الحبل وقفز من أعلى جدار الحديقة».

موقف موحد

إن هذه «السلطة» التي لها إيجابياتها في مثل هذا النص الإبداعي الذي يهدف من ورائه كاتبه إلى لفت النظر إلى حدث يستوجب أخذ الحيطة والحذر، هي سلطة مشروعة وواقعية في العمل الأدبي، باعتبار أن لا شيء يمنع الكاتب من استعمال أدوات التلميح طورا، والمباشرة طورا آخر، ضمن عمل هو - بالأساس - دعوة إلى محاولة فهم راهنية الأحداث، لتفادي ما يمكن أن يجري لاحقا، أي أن الفعل السابق لأوانه في العيد، لا بد وأن له فاعلاً سبق منه قبل يوم الأضحية بالذات، لذلك أشار القاص إلى أن «الشيء الذي جيء بها من الطبيعة كانت تنغو قلقاً»، وقلقها هذا هو ما سيتطور إلى موقف موحد ستتخذها الأكباش لحظة الذبح، ينجلي في الوقوف علامة على الخير!

أفعال السحرة

من هنا يظهر لنا الكاتب أن ذبح الأكباش فداء للأضحية، إنما هو تصفية للجسد وليس للروح، ولذلك عانى الخدم كثيراً من أجل القبض على الأكباش الهاربة، وعبثاً حاولوا، بل لم يفلحوا إلا في الحصول على قطرات من الدم تلطخ وجوههم. لكن السي التهامي - بوصفه الممارس الوحيد لمراسيم الأضحية في صبيحة هذا

منذ مدة، والأديب المغربي محمد البريني لم ينشر أي إبداعاته القصصية. فبعد المجموعة المحظورة (أغلال الماضي)

الصادرة سنة 1976، لم نعد نقرأ له أي نص قصصي على صفحات ليبراسيون مثلاً. وكل ما نعلم أن له مجموعة قصصية ثانية معدة للطبع. لكن هل تصدر أو لا تصدر؟ هذا هو السؤال الذي سيظل معلقاً.

وإذا نحن تجاوزنا آفة الطبع والنشر، وحاولنا اقتحام عالم الإبداع القصصي عند محمد البريني، فإننا سنكون، فعلاً، أمام إنتاج متميز - شكلاً ومضموناً - قد يقف عنده القارئ بنفسه من خلال قراءة لإحدى القصص التي حظيت بالترجمة (2) إلى العربية ليطلع قراء هذه اللغة على أدب كاتب يبدو أن السياسة والصحافة أخذتا من وقته الحيز الكبير.

يُستهل نص «روح عامر» بأداة إشارة (هناك)، وهي أداة تدعونا - كمتلقين - إلى الرحيل صوب مكان ما، في زمان ما، لتتبع حادث ما. ودعوة من هذا القبيل ليست موجهة لقارئ النص المنشور فحسب، وإنما هي دعوة لمختلف الشرائح الاجتماعية لكي تكون على استعداد لفهم ما جرى بحي السعادة بالمدينة صباح عيد الأضحية على يد «التهامين».

مطاردة حادة

لقد أوقف عبور الأكباش المذبوحة
وانسكابها على حي السعادة الحديث
مدلول العيد كفاء وتضحية، إذ أصبح كل
شيء في الحي ذا لون أحمر قاني، فتزعز
الحي بنسائه ورجاله، بفتياته وفتياته.
ومن ثمة بدأت حدة المطاردة من طرف
التهامي وجيرانه بواسطة سيارات فخمة،
بينما الأكباش تدخل المدينة الخالية التي كان
بها صمت كصمت الأموات يسيطر على
الازقة المقفرة كما أن الأبواب والنوافذ كانت
موصدة.

ثورة الأكباش

السّي التهامي، إذن، كان متيقناً أن عامر هو المسؤول عن ثورة الأكباش الجديدة هاته، بينما عامر كان واقفاً وسط ساحة فسيحة وسيف مغروس في قلبه، ولم تكن هنالك أية قطرة دم تسيل من جسده.

«وتوقفت الأكباش عن إلقاء الدم من أفواهها وأحاطت بعامر الذي أنساب من جسده رش نوراني وارتقى صعداً إلى السماء، ثم تحول إلى كائن بشري، وأخذ يحوم حول الجماهير التي أخذت تردّد: (روح عامر.. روح عامر).» □

(1) من شهادة محمد البريني في الندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب بالرباط خلال يومي 11 و12 دجنبر 1990 في إطار الاحتفاء بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

(2) أنظر النص في مجلة «أقلام» عدد 2 يونيو 1976، ترجمة أحمد صبرى.

المهدى الودغيري

مذکراتِ امرأة واقعیہ

توفيت أبي عن العمل في سن مبكرة بسبب إدمانه على الخمر وعذرفته الصحية، ورضعته غير العادية أخطت للأخريين من رجال الأسرة سلطة علينا، ولم يكن أعاصمي الأربعة ينتظرون منا نحن نتائج مدرسة حسنة، لكنني وجدت في المدرسة، هذا العالم الذي البهرني، فرصة لإثبات جداتي، هكذا بدلت جهودا منذ البداية للتفوق، فقد فتحت وعيني منذ فترة مبكرة على رافع الفتاة المهيالة، وكانت صورة الوالد، سكران حتى التساماة وهو ينهال بدميه الكبيرتين على رأس الوالدة، في رنت متأخر من الليل، لا تفارني بل كانت ربما من المرافز التي دفعتني للعلم بعلاقة مسالة بين المرأة والرجل.

اشتغلت في المخطوط الحوية عن طريق الصدفة. كان يومًا ربيعًا من أيام أبريل 1976، توصلت بـبرقية في ذلك الصباح كانت الإدارة العامة تطلب مني الالتحاق في أقرب وقت ممكن. كنت في المنزل أراجع إحدى دروس الجغرافيا استعدادًا لاجتياز امتحان البكالوريا، خرجت تورا إلى محطة الحافلات كان خروجها حاسمًا. عرفت أنني سأعادر دراستي لأجل العمل رغم أهلامي وطموحاتي... لكن للفقر قوانينه!

بعد اجتياز الباردة والفضض الطبي الرئيس. أخبروني أنني مقبولة عن جداء ويجب أن أثبت هذه الجدارة حتى في عملي. ومرت السنين بآسائها وآلامها عرفت فيها أمراضا مزمنة وأناسا طبيين وآخرين غير طبيين ، ونظرا لساسيتي المفرطة كنت أهبانا كثيرة أقيم دروعا بيني وبين الناس لكي أتقي شرهم - كنت أقول- كنت أعرف اعتيادي بنفسي وعزدي عن تلقي المساعدات من أي شخص مهسا كانت درجة العلاقة بيني وبينه، فالفقر الذي عشت فيه طوال السنين علمني رفع رأسي إلى السلاو رغم فأكل نغلي .

نوعية العمل الذي بدأت أمارسه كضيفة أرضية ترك آثاره وبصماته في نفسي، لقد أكسبني أضيائه كثيرة، معرفة الناس كانت أبرزها، طبيعة علي لفنتني كيف أتهم البشر، كيف أنظر إلى ما وراء الأعتة، كيف أتعامل وأتواصل في دنت وجيز بأدب جم والبنامة فطية مع مسافرين من شتى الجنسيات والثقافات والبلات.

وكثيرا ما كنت أغير المصلحات ومجهد ما ألتص بمصلحة جديدة كنت أعرض إلى مجبوعة من الاختبارات ثم الرهجات تبدأ بأن ينظر زلاولا وزميلات العمل بعضهم إلى بعض، ثم يسألون ويستفسرون عن سبب قدم هذا الجراب إلى مصلحتهم الموقرة فإذا تراخى المعلومات ذلك عن طريق رشاة آخرين من

هند التعارجی:

عندما يتحول الحجاب إلى أداة للإثارة!

مقدرة وعلينا أن نعمل على أنفسنا دكت أخص أنني أنا المقصودة في هذا الحديث رغم وجود أمّتي راضية والتي كانت تذكّرني بستين ، كنت أهد بالمسؤولية رغم صغر سني دكت أعبر نفسي أنني الملهة إلى التكلف بالآخرين ، كان لدي شعور أنني بالأخص كنت طفلة وفي صباح اليوم التالي أصبحت أنتمي إلى عالم الكبار وقد أدى هذا الإحساس إلى منحي نضجا دفعة واحدة وقبل الآن ، أهذا رابع إلى حسابيني المرفطة أم إلى تفوتي المدرسي وفتح دعي بالمقارنة مع أمّتي البكر ؟

لا أعرف لماذا كلما كانت لي فرصة الحديث عن خط سير حياتي أعتبر أن وضعتي كانت تشبه إلى حد ما وضعية عبد القادر وهو الأخ الوالد من أبيها، وقد كانت أقراني بطلق عليه "زندجدي" بدل أخي، ونظرا لهذا التصنيف الدقيق الذي يوهي بمساندة أو بالأحرى بالرفض من طرف العائلة وخاصة الوالدة، فبعد كانت علاقتي بعبد القادر جد طيبة وكثيرا ما كنت أنظم زياراتي إلى بربريد أسأله عظه الدرسية حتى يتسنى لي لقائه والتحدث معه واكتشاف عدة أشياء سوف يتعذر علي معرفتها بدون مساعده.

كنت أكن بعد القادر احتراماً خاصاً، لقد استطاع أن يدخل الكلية رغم ضائقة ظروف عائلته، وقد صدق أن حصل على عمل كسعلم في مدرسة حرّة يستغل في الليل ويسدس في النهار، أفراد عائلته يخشونه لأنه "قاري" وخاصة أنه كان مكلفاً بجميع مصاريف البيت، كان هو الوحيد الذي له الصلاحيّة في توزيع اللحم أثناء الوجبة الأسبوعية رغم وجود جدي ولا أجد يقرب التلاعبة التفرقة على الماء وبعض الخضر الموسمية إلا بمؤازرة، كان عبد القادر جبال إلى الصمت والعزلة صعبة كتاب أجهز الراديو الذي اشتراه من الحظيرة بأول منحة له.

كان يعرف أنه "سبقل" في يوم من الأيام إلى مكان ما، لأن التاريخ متوقف في هذه البادية كما كان يقول لسلطه التي اكتسبها بسبب شخصيته الشيرة واستقلاله المادي كانت تدخله في منافسات خفية مع إخوانه الذين يكبرونه سناً، فقد غادروا المدرسة بعد قسم التعطيري، وبدأوا يقفون جل أوقاتهم في الفدابين الجبارة صعبة قسنة بالاستيكية "لررر" أُرْفِي إحدى مغائر الدرك للمبادرة □

خدیجہ برقی

ارتبط اسم هند التعارجي بمجلة «كلمة»، ثم غابت عنا للتعويض «محجبات الإسلام» وهو كتاب

يضم 335 صفحة تحكى فيه هند سفرها الى دول

الخليج وتركيا ولبنان ومصر والجزائر

ولقاءاتها مع نساء محجبات اخترن ارتداء

الحجاب عن طواعية. لأجل الاقتراب من هذا

التصور أكثر كان لنا مع هند هذا الحوار.

قبل الحديث عن سفرك مع محجبات الإسلام هل يمكن لك أن تحدثنا قليلا عن الكتابة ماذا تمثل لك؟ ماذا تحدث فيك؟

— الكتابة بالنسبة لي وبكل بساطة هي وسيلة للتعبير
للآخرين عن ما أحسه إنها أداة للاتصال. إنني لست كاتبة إنني
صحفية لذلك لا يمكنني أن أعطيك تنظيرا فلسفيا حول الكتابة،
لأن منهجي في التفكير يظل مرتبطا بكل ما هو واقعي ويومي
وذاتي. والكتابة بالنسبة لي هي وسيلة لأجل الوصول إلى هدف
وهو التعبير عما أحس به وما يحسه الآخرون كذلك لهذا فإن



صادفت محجبات مصريات أكثر أناقة مني

— في مصر والمغرب نلاحظ حضوراً مهماً للمحجبات داخل كليات العلوم

— نوال السعداوي قالت: إن الرسالة التي ترسلها المرأة بالحجاب رسالة خاطئة مثلها تماما مثل الرسالة التي ترسلها المرأة

ولكن في الواقع إنني لست منجذبة وراء الحجاب الأورثوذكسي الذي تستعمله المنقبات أو حتى الحجاب الأنيق، وعلى سبيل المثال فخلال جولتي في مصر التقيت بمسؤولة صحفية في مجلة من مجلات الموضة وقلت لها: ألا ترين أن هناك تناقضا

—استرعى انتباهك النظرة العنيفة للرجال في تركيا كما ان في تونس فاجاتك كثيرا نظرة رجل الشارع التونسي للمرأة —هذا البلد الذي كان يمثل لنا نحن النساء مثال المجتمعات العربية فيما يخص الوضعية القانونية للمرأة— ألا تعتقدين أن نفس النظرة العنيفة توجد حتى في البلدان



العدد 7 —

الإستفتاء

لقد أثارت مسألة حضور الأمم المتحدة في المنطقة كثيرا من التشكيك وعدم الثقة تجاه دور الوساطة الذي تقوم به المنظمة الدولية لإيجاد حل سلمي لقضية الصحراء.

وفي هذا الإطار لابد ان نسجل ملاحظتين اثنتين:

- 1- ان المغرب بعمله الدبلوماسي هو الذي رغب في / وشجع تحكيم الأمم المتحدة بهدف الحفاظ على سمعته وحماية مصالحه الوطنية في نزاع كان يهدد بأن يظل قائما لمدة طويلة لو لم تسر الأمور على هذا النحو.
- 2- ان عملية الاستفتاء تحت اشراف الأمم المتحدة هي الوسيلة الأكثر واقعية لإيجاد حل لهذا النزاع.

وواقع ان موقف المعارضة المتشكك من حضور الأمم المتحدة في المنطقة والرافض لتواجد قواتها ولعملية الاستفتاء يدخل في إطار معارضتها للسياسة الحكومية ككل، علما بأنه لا يسير في منحى جميع الجهود التي بذلت لدعم حل سلمي.

وباعتبارنا من الذين يساندون هذا المنحى (الاستفتاء) فإننا سنحاول إبراز اسباب ذلك:

فإذا كان مجموع العمل الدبلوماسي السابق للمغرب يسير في اتجاه تحقيق الهدف الوطني، فإن طريقة مقاربتة لم تكن في أية لحظة تفضل استعمال القوة على حساب البحث عن الحق والقانون. وفي هذا الإطار لا يمكن لدعاة التصعيد آنذاك ان ينكروا اليوم مزايا هذه المقاربة التي جنبت المنطقة الكثير من المخاطر وفتحت الباب للتقاربات الحاصلة على مستوى المنطقة. وقد افضى هذا البحث عن الحق والقانون الذي اصبح يشكل مكونا جوهريا في العمل الدبلوماسي للمغرب الى نتيجة توافق وملاءمة بين المطامح الوطنية ومتطلبات المجموعة الدولية، وجاءت خلاصة ذلك على شكل تقرير الامن العام مصحوبا بالملاحظات والتحفظات المغربية التي تتعرض لآليات التنفيذ دون ان تمس بمبدأ الاستفتاء نفسه. وهذا ما يبين ان نتيجة هذا العمل ليست من صنع أمين عام للأمم المتحدة يريد فرض تصوراتة للقضية وينصب نفسه « مقيما عاما » في المنطقة.

ان موقف المعارضة المغربية الراض لمبدأ الاستفتاء لا يسير الا في اتجاه رد الاعتبار لاستعمال القوة في الوقت الذي فقد فيه هذا الاخير مقوماته سواء على مستوى المنطقة او دوليا. وما مصادقة المجموعة الدولية على تقرير الامن العام وقبول المغرب له (مع ما سجله من تحفظات) الا تعبيراً عن التخلي المرحلي عن استعمال القوة بهدف ايجاد حل سلمي للنزاع القائم في المنطقة في ظل متغيرات دولية لا يمكن القفز عليها.

حسن عبد الجبار

أفيرة



منذ شهور وبعض خطوات المعارضة المغربية تأخذ شكل تنسيق الموقف والخطوات. ومع ان (حرب الخليج) قد كشفت عن حدود الائتلاف والاختلاف التي يمكن ان يرقى اليها اسلوب العمل السياسي المعارض، إلا أن أزمة الوضع السياسي والاقتصادي وتزايد حدة الاختلالات الاجتماعية والبنوية قادت تدريجيا الى ابعاد مما عملت به قوى المعارضة في البلاد في تاريخها الطويل من انسجام في الاهداف المرحلية وتوق الى كسب معركة التحول التي يحبل بها واقع البلاد.

لقد كانت (الكتلة الوطنية) في بداية السبعينات فرصة مناسبة لتكتيل قوى العمل الديمقراطي قصد مواجهة الاستبداد الذي خيم على البلاد منذ اواسط الستينات. وكان هناك احساس حقيقي بأن المغرب على اعتاب انقلابات جوهرية سوف تغير مجرى تاريخه، ومع أن فشل (الكتلة) كان في جزء منه بسبب ذلك ايضا، الا ان المجرى الذي سارت فيه البلاد لم يعمل في حقيقة الأمر، إلا على تعميق الواقع الموروث وسبك هياكله المتخلفة. ومن حيث اريد للتناقض، بين السلطة وقوى المعارضة أن يلين بكثير من الشعارات والمقترحات المسهلة لذلك، من حيث ازادت حدة التناقضات الاجتماعية.

بل وتفجرت في أحداث كبرى، اقنعت المعارضة بأن لا سبيل إلى إحداث التغيير المطلوب إلا بقلب الهياكل القائمة وإعادة النظر في علاقة الحاكم بالمحكوم وسن اختيارات ديمقراطية. ويبدو أن قوى المعارضة الآن، رغم ما بينها من اختلافات وتناقضات، قد وعت في الوقت المناسب — ولو بتضحيات جسيمة — بأن بقاءها واستمرارها رهين بتطوير برنامج النضال العام قصد تغيير موازين القوى وفرض ارادة التغيير الوطني.

إن المناخ يماثل، من بعض الوجوه، تلك التجربة التي ولدت فيها الكتلة، وسيكون من المطروح أن يرى التاريخ في هذه النقطة على ضوء الفوارق والاختلافات التي توضحت في المسار العام لنضال المعارضة من جهة ولسطوة الحكم من جهة أخرى. وإذا كان من المفهوم أن افق الانتخابات قد يحدد في الشهور المقبلة برنامج النضال المعارض، إلا أن ما يجب أن يحدد كل أفق معارض أيضا هو الخروج من ظروف الأزمة العامة باختيار يعطي للديمقراطية معناها الحقيقي في حياتنا وتطورنا ومستقبل وجودنا كأفراد وجماعات. ■

أفق المعارضة المغربية

حسن السعيد

يصدر قريباً من منشورات (على الأقل)

عبد القادر الشاوي
اليسار في المغرب



دراسة نقدية في تجربة اليسار الجديد بالمغرب